

في جسم الثقة والتصديق

بقلم

عادل شـــلاّر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جمع العقول على تفضيل شرعه على كل فكرة وطريقة ، فكان منهم من لبس ثوب التصديق بما أتاه من الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ولم يستقم على هديه لأن تصديقه هذا لله ورسوله صلى الله عليه وسلم ما هو إلا فكرة في العقل لكنها مقطوعة من الوجدان كجسد ميت لا روح فيه ، وصلى الله على المشرف بمنازل القرب من حضرة الله العظيم والموصوف بحبيب رب العالمين والذي محبته روح الأكوان ، فإذا خالطت القلوب التي صدقت بكلام الله أنعشت الأرواح وظهر الإيمان الذي هو تصديق بالقلب وعمل بالجوارح والحب هو الدافع للعمل لا الهوى وحظوظ النفس ، صلى

عليه الله وسلم تسليماً كثيراً وعلى آله وأصحابه المؤمنين حقاً الذين صدقوا بكلمات الله ووثقوا بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأحبوه محبة خالطت بشاشة القلوب منهم حتى عجز أكثر أهل الأزمنة الآتية بعدهم أن يكونوا مثلهم .

وبعد :

هذا كتاب صغير أودعت فيه بعض المجريات التي حدثت لي والتي تحتوى تنبيهاً للقارئ إلى مدى منفعة الثقة بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فتدفعه إلى التعامل مع الحياة بطريقة أخرى ، وتضعه على مشارف حسن التوكل على الله في الأمور كلها ، وتنمي في قلبه كوامن المحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ،

وتكشف له من الأسرار المتعلقة بجمال وكمال شريعة الاسلام وبشرف النبي صلى الله عليه وسلم وكرامته عند ربه ما يعجز عن الوصف .

من القوانين الإلهية التي تحكم حياة المؤمن ، قول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم : ((من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته)) متفق عليه

حادثة :

أكرم الله تعالى الحي الذي أعيش فيه ، أن جعل فيه فقيهاً أظن فيه الصلاح ، وكان يدرس العلوم الشرعية المختلفة لطلاب العلم (الاعتقاد وتفسير القرآن وعلومه وعلوم العربية والفقه وأصوله والحديث وأصوله) بالإضافة لدروس الوعظ لعامة الناس ، وبعد أن أنهى الشيخ كتاب كفاية الأخيار في فقه الشافعية ، قرر أن يبدأ في كتاب المجموع للإمام النووي بعد صلاة الفجر ، كان الكتاب كبيراً جداً وثمنه غير متيسر لي ،

وكانت طبعة الكتاب قليلة في المكتبات ، لذلك كنت أستعير الجزء الذي نقرأ به من أحد الطلاب وأنسخ على الدفتر ما سوف نقرأه ، وكنت أقوم بتحضير الدرس وأشرح بعض الكلمات مستفيداً من معاجم اللغة ، فأعجب الشيخ بما أصنعه ، وطلب من بقية الطلاب أن يحضّروا الدرس ، وكلف طلاب العلم الأقوياء بمهام جليلة ، فقد خصص بعضهم لتحضير الدرس من ناحية اللغة العربية وبعضهم لدراسة وتدقيق الأحاديث وأسانيدها ، وبعضهم لتحقيق الآراء الفقهية في المذاهب الأخرى ، وكان الشيخ يحضّر الدرس من جميع جوانبه وكثيراً ما استدرك على طلابه في الجوانب التي قاموا بدراستها .

والمهم من ذلك أنني كنت أطلب من الله تعالى أن يرزقني مالاً أشتري به الكتاب ، فما طال الزمن حتى يسر لي الرب الكريم عملاً استطعت من خلاله أن أجمع ثمن الكتاب ، ولما هممت بشراء الكتاب قالت لي والدتي : أخوك محتاج لشراء بعض الأدوات اللازمة لدراسته وكان أخي يدرس في كلية طب الأسنان ، فأعطيت المال لأخي ، فقال لي أخي : إذا كان الكتاب مهماً فلا عليك إذا اشتريته وأنا سأتدين من زميلي في الجامعة ، قلت له : أنت أهم من الكتاب ، أنا أريد شراء الكتاب لأزين به المكتبة فقط فقبل مني المال .

وفي اليوم التالي لما رجعت من عملي ، لقيتني والدتي بوجه عابس ، وأخذت تؤنبني وتصفني

بالأنانية ، وتقول لي كيف تشتري الكتاب أما قلت لي أنك ستعطي المال لأخيك ، قلت : والله يا أمي أعطيته المال ولم أشتر أي كتاب ، ودخلت الغرفة وإذا بصندوق كبير يحوي بداخله كتاب المجموع ، قلت لأختي : من أين هذا الكتاب ، قالت جاء رجل ووضع الصندوق على باب الدار وقال : هذا لطالب العلم قلت لأختي : أما رأيت شكل الرجل من شق الباب حتى أعرفه وأكافئه ، قالت : لا ،كان يقف بعيداً عن الباب ، فعرفت ما أكرمني الله به من الفضل والمنح ، وتذكرت قوله صلى الله عليه وسلم : ((من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته)) .

حادثة أخرى :

زرت أحد الناس في محل عمله فسلّمت عليه فرد السلام ورحب بي ، ثم استأذنني وتشاغل عني ببعض عمله ، جلست إلى مكتبه ، كان على طاولة المكتب مصحف وجزء من صحيح البخاري ، أخذت المصحف وبدأت أقرأ فيه ريثما ينتهي صاحبي من شغله ويأوي إليّ ، وفي أثناء ذلك دخل علينا مصلح البلور فرمى السلام وأخذ يقيس الشيء الذي سيركب عليه البلور ، أخذ القياس بسرعة وهم بالذهاب ، قلت له : إلى أين ألا تريد أن أهديك هدية ، قال : نعم ، قلت : تعال اجلس ، ثم أخذت أفتش له عن هدية في صحيح البخاري ، فخرج لي قول النبي عليه الصلاة والسلام : ((إنه لا يأتي الخير

بالشر)) ، قلت له : هذه قاعدة عظيمة ، أخبرني ماذا فهمت منها ، قال لي : يعني إذا لحقني شر من تصرف ما هذا يعني أن تصرفي ليس خيراً ، قلت له : تماماً هذا الفهم الصحيح ، ولكن كيف تعرف كيف يكون العمل خيراً وكيف يكون شراً قبل أن تحصد نتيجته ، قال أخبرني أنت ، قلت له : إذا كان العمل موافقاً لسنة النبي صلى الله عليه وسلم كان خيراً وستكون نتيجته خيراً حتماً ، وإذا كان مخالفاً لسنة النبي صلى الله عليه وسلم ، لم تكن النتيجة خيراً بل شراً لأن القاعدة النبوية الشريفة تقول : ((إنه لا يأتي الخير بالشر))

قال أريد أن أسألك سؤالاً ، قلت : سَلْ ، قال: إن بعض زبائني الذين أضع لنوافذهم وأبوابهم

البلور ، يتعاملون بالربا ، هل الأجرة التي آخذها على عملي حرام ، قلت له : إن النبي صلى الله عليه وسلم أكل من تمرات الصحابي المحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان هذا الصحابي رضي الله عنه كان قد احترف لرجل يهودي فأعطاه بكل دلو ينزعه من البئر تمرة واحدة ، وكذلك استدان النبي صلى الله عليه وسلم من يهودي شعيراً ورهن عنده درعه ، فإذا نظرت إلى ذلك علمت أن النبي صلى الله عليه وسلم تعامل مع اليهود ، واليهود لا يكفون عن أكل الربا وهم كغيرهم من أكلة الربا ، ولكن أريد أن تنظر إلى تلك الحوادث التي

مرت برسول الله صلى الله عليه وسلم بنظر أعمق ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

جائعاً لم يدخل إلى جوفه طعام من أيام ، ولم يسُق الله عز وجل لنبيه رزقاً خلالها ، فلما رأى الصحابي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عرف فيه الجوع ، فذهب ذلك الصحابي المحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يلتمس طعاماً هنا وهناك فيهديه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يجد عملاً إلا عند ذلك اليهودي ، ولو وجد عملاً عند من هو خير من ذلك اليهودي لفعل ، فلما رجع الصحابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم منه الهدية .

وعندما استدان رسول الله صلى الله عليه وسلم شعيراً من يهودي ، لم يكن عنده صلى الله عليه وسلم مؤونة أهله ، ولو كان عنده مؤونة أهله لما

استدان قط ، ولعلك تقول في نفسك : لماذا لم يستدن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه ، يكون الجواب : إنه لو استدان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه لبذلوا له كل شيء بلا مقابل ، ففي الأخذ من أصحابه في هذه الحالة خصلتان لا تليق بالأنبياء ، ولا تليق بوراث الأنبياء أيضاً .

أما الخصلة الأولى : في بذلهم مشقة عليهم ، وقد جاء النبي صلى الله عليه وسلم ليرفع عنهم العنت والمشقة ، وأما الخصلة الأخرى : أن الأخذ منهم نقصان في المنزلة الدنيوية وفي مقام التوكل فهو صلى الله عليه وسلم دائماً اليد العليا المنفقة فهو أصل كل رزق لأصحابه ، وعندما يأخذ من يهودي فهذا يعني أنه صلى

الله عليه وسلم سوف يتذلل إلى ربه الكريم ليرزقه وفاء دينه لليهودي وفي ذلك ارتفاع في العبودية والتوكل على الله عز وجل .

والمهم من ذلك بالنسبة لك أن تعلم أن أخذ أجر عملك من هؤلاء الناس مباح ، ولكن عليك أن تجعل التعامل معهم للضرورة فقط ، أي عندما لا يبقى لتطعم أهلك من سبيل إلا الأجرة التي تحصل عليها منهم فخذ من مالهم ما يكفيك وعيالك من حاجة ضرورية وتصدق بالباقي .

شكرني الرجل وسلم وانصرف ، وفي تلك الأثناء ، انتهى صاحبي من شغله وأقبل إلي وسألني عن أحوالي وفعلت معه مثل ذلك ، ثم أمر الغلام أن يغلي لنا شاياً للضيافة ، ثم اخرج من درجه دفتر

حساباته ، وكان في الدرج مبلغ من المال ، قلت له : أرى معك مال ، هل هو خالص لك أم للناس ، قال لي : إنه لي ، قلت له : هل عليك حق لأحد ، قال : نعم ، قلت له : فأعط الناس ما لهم عليك ، قال : إنني بحاجة للمال ، قلت : ماذا تريد أن تفعل به ، قال : أريد أن أشتري بضاعة جديدة ، وإذا أخرت أكثر من ذلك شراءها خسرتها ، قلت له : وهل أصحاب الحقوق راضين عن تأخير حقوقهم ، قال : لا ، قلت له : ألا تحب أن يسعى الله بحاجتك ، قال : بلى ، قلت : يقول لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ((من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته)) وحكيت له قصتي مع كتاب المجموع ، فقال لي : من بعد إذنك سأذهب وأوزع المال على أهل الحقوق وأرجع انتظرني ولا

تذهب ، ركب دراجته النارية وانطلق ، ثم رجع بعد وقت غير طويل ، دخل المحل وهو فرح وقال : الحمد لله لقد يسرنا الناس ، كانوا محتاجين إلى المال كثيراً ، فما أنهى كلامه حتى رن الهاتف ، وإذا بأحد التجار يخبره بأنه حسب حسابه بمبلغ من المال وقال له : تعال خذه قبل أن أصرفه .

وهكذا لمس صاحبي سريعاً أثر العمل بسنة سيد الأنام محمد عليه الصلاة والسلام .

حادثة أخرى :

زرت النجار الذي في حارتنا ذات يوم ، وسألته عن أحواله ، فقال : أجيرنا فلان يريد أن يتركنا ، فدعيت الأجير وسألته : هل صحيح انك ستترك العمل هنا ، قال : نعم ، قلت : هل ظلمك أحد ؟ قال : لا ، قلت : أخبرني عن

السبب الحقيقي الذي يدعوك للترك ، قال : إنه عُرض علي عمل آخر ، وهذا العمل أستطيع إنجازه في أسبوعين ، وأجرة هذا العمل تعدل أجرتي هنا في أكثر من شهر ، قلت له : من حقك ذلك ، ولكن سأسمع إلى صاحب العمل ، قلت لصاحب العمل هل سيضرك تركه العمل عندك ، قال: نعم إنه سيتركني في عز أزمة العمل وأنا بحاجة ماسة إليه ، فالتفتُ إلى الأجير وقلت له : ما رأيك بقول صاحب العمل ، فسكت ، ثم قال : إنني بالعمل الجديد سوف أحصل على ضعف أجرتي ، قلت له : من الذي جزم لك بذلك ، سكت ، قلت له : إذا تعارضت منفعة مع ضرر نبدأ أولاً بإزالة الضرر ثم نحقق المصلحة ، ألا تستطيع أن تؤخر عملك الجديد ريثما تنفك الأزمة عن صاحب عملك الحالي ، قال :

لا أستطيع تأخير ذلك العمل ، قلت له : كيف قدّرت أن عملك الجديد ينتهي معك بأسبوعين ، أما فكرت أن يتعسر فلا تنتهي منه إلا بشهر أو أكثر أو أنه يؤكل عليك جزء من مالك ، وعلى كل حال إذا كنت بحاجة إلى أجر أكبر وليس بمقدور صاحب العمل الحالي أن يؤمنه لك فإني أقول لك قول النبي صلى الله عليه وسلم : ((من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته)) وإنني لا أريد أن أجبرك على عمل معين ولكن أقول لك أن الخير أن تكون في حاجة صاحب العمل الحالي ، وإن الله سيكفيك حاجتك ويبارك لك في رزقك ، وبعد أكثر من أسبوعين شاء الله أن ألقاه في مقر عمله الجديد وقد ترك عمله القديم ، فإذا به لم ينتهي من عمله بعد كما فكر وقدر ، ولم يقبض

بعد مالاً ، وهكذا لما أعرض عن حاجة أخيه تعسرت حاجته .

ومن القوانين الإلهية التي تحكم حياة المؤمن مقولة : (أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة)

روى الامام مسلم في صحيحه : عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: {يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا، إني بما تعملون عليم} وقال: {يا أيها الذين

آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم} ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء، يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟))

حادثة :

كنت كلما لقيته سلمت عليه ، وقلت له : إن شاء الله يهيئ لك مورداً للرزق غير الذي تعمل ، فيقول : إن شاء الله ، وذات ليلة لقيته أمام باب بيته ، فسلمت عليه وسألته عن أحواله وعن أولاده ، فشكا لي مرضاً أصاب ابنته الصغيرة ، وحكى لي ما يلاقيه من متاعب وما يصرف من مصاريف للأطباء والدواء ، ولما رأيته بحالة عظيمة من الإشفاق ورقة القلب بدأت

أضرب على الوتر الحساس لأبين له مكامن المشكلة عنده، قلت له : هناك قانون إلهي موجود في القرآن الكريم يقول : ((وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير)) قلت له هل تجزم أنه ليس عليك ذنوب ، قال : بل كل عملي ذنوب ، قلت إذاً فأنت خاضع لهذا القانون ، فمصيبتك بسبب بعض ما كسبت يداك ، لكي تخرج من مصيبتك لابد لك من الانكسار لله والدعاء والطلب منه سبحانه وأنت بحالة من الاستكانة والذل ، ولا بد أنك جربت ذلك في حياتك ، قال : نعم لقد جربت ورأيت من كرم الله وفضله شيئاً عجيباً لا يوصف ،لقد كانت علي ديون كثيرة فكنت أدعو الله دائماً فرزقني ووفيت ديوني ، قلت له : وكذلك حالتك الآن فإن الأودية التي

وصفها الأطباء لا تكفي لشفاء ابنتك ، فلا بد أن تجمع معها الدعاء والطلب من الشافي المعافي ، ولكن أريد أن أخبرك عن سر من أسرار الدعاء ، وهو قوله عليه الصلاة والسلام ((أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة)) وهذا حديث مشهور على ألسنة العلماء الجهابذة ، قال مستغرباً : هل هناك حرام في كسبي ؟! (وكان يعمل في تجارة الأراغيل وملحقاتها) فسألني عندها ما حكم بيع الأراغيل والمعسل والدخان ، قلت له : أنا أريد أن أسألك هل تستطيع أن تقول لي عن هذه التجارة أنها من الحلال الخالص

وأنها ترضي الرحمن ، قال : لا ، قلت : فإن لم تكن من الحلال الخالص فما عساها أن تكون ؟

فسكت ، قلت له : إذا أردت أن يستجيب الله لك ، ويشفي ابنتك ، عليك أن تقلب دكانك إلى تجارة صالحة ، ثم أطعم ابنتك (مع الدواء الذي وصف الأطباء) طعاماً حلالاً طيباً وبعد أربعين يومًا إن شاء الله تشفى من المرض . فكر الرجل في الكلام الذي قلته له فلم يعمل بنصيحتي ولكنه عرض محله للبيع واكتفى بأجرة محله الثاني المؤجر ، وهكذا بدأ يطعم أهله من أجرة محله المؤجر وبدأت ابنته بالتماثل للشفاء بشكل متسارع .

حادثة أخرى :

كان يعمل مديراً لمؤسسة ، كنت أعرفه ، وفي يوم من الأيام أصيبت ابنته بكيد ساحر ،

فسحرت بنوع من تلبس الشياطين ، أخفى علي هذا الأمر وقتاً ولم يطلعني عليه ، ثم إنه أخذ يبحث عن حل لهذه المشكلة من كل حدب وصوب وكأنه تائه ضائع لا يدري ما يفعل ، فلما لم يستفد من الناس شيئاً أطلعني على قصته ، وطلب الحل عندي ، أو أن أدله على شيخ يكون على يديه شفاء ابنته ، قلت له : عليك بقراءة القرآن فإن الله تعالى يقول : ((وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً)) فأكثر من قراءة القرآن وإذا حاورك الجني فحاوره ورغبه بالإسلام وخوفه من الله ، ولا مانع أن تسجل حديثه لك على شريط الكاسيت ، وانتبه لا تصدقه أبداً لأنه خبيث ماكر من أكذب الخلق ، ومرت الأيام ثم لقيته ، فسألته عن أحواله فأخبرني ، أن

قراءة القرآن لم تنفع مع ذلك الشيطان ، استوضحت منه كثيراً فتبين أن الشيطان قد أوقعه بالخديعة ، قال له ذلك الشيطان : أنا تبت وأسلمت لله ، ولكن لا أستطيع الخروج منها حتى تفعل ما أقوله لك ، تأخذ ابنتك إلى البحر وتغطسها فيه سبعة أيام ، فصدق هذا المسكين وأخذ ابنته إلى البحر ، وكادت أن تموت البنت غرقاً لولا لطف الله ، قلت له : ألم أنهك عن تصديق ذلك الكذاب الماكر ، قال ما الحل أرحني أراحك الله ؟ قلت : تعال نضع النقاط على الحروف .

اعلم أن مجرد النطق بالقرآن فقط لا يحل المشكلة ، وسوف تلاحظ الآية الكريمة ، إنني أدعوك إلى أن تتأمل في هذه الكلمات

الشريفات.. قال الله تعالى : ((ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً)) .

أريد أن تسأل نفسك ، هل أنا من المؤمنين أم من الظالمين ؟ المؤمن هو الواثق بربه والذي يعرف أنه لا يحرك ولا يسكن ولا ينفع ولا يضر إلا الله ، لذلك فهو يطلب حاجته من الله عز وجل ويتوكل عليه في إنقاذه ويثق بالله الذي يريد أن يخفف عن العباد ويرحمهم ، والظالم هو الذي يظلم نفسه فيبعدها عن طاعة الله ، وهو الذي يأكل مال أخيه ويسيء إلى عرضه ولا يتتبع الحلال الصافي في اكتساب معيشته ، فإذا كنت ظالماً فسوف تزداد خسارة ، وهذا الذكر الذي تقوله لن يحقق لك الشفاء ، فإذا أردت الخير فاعمل بنصحتي :

أولاً : أطعم عيالك من مال حلال حتى يستجيب الله دعاءك .

ثانيا ً: أدعو الله بذل وانكسار وأنت موقن وواثق برحمة وكشفه للضر .

ثالثاً : إحرص على صلاة الفجر ، واشتر عجوة من تمر المدينة المنورة بمال حلال وأطعم ابنتك كل صباح سبع تمرات ، اقرأ سورة البقرة في بيتك مرة كل ثلاثة أيام ، اقرأ سورة الفاتحة وآية الكرسي والمعوذات ثلاثاً في كل مرة تنفث بها في كفيك وتمسح بهما وجه ابنتك وسائر جسدها وذلك كل يوم صباحاً ومساءً .

إنك إذا فعلت هذا لم يقدر الشيطان التلبس ، واصبر بينما يطلعك الله على مكان السحر ، أو

يهيئ الله لك رجلاً طاهراً يجعله الله سبب رحمتك ، فإن الله أطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على مكان وجود السحر ، وأعطي المعوذات فلم يضره السحر .

وبدأ الرجل في الانتباه إلى كسبه ومعيشته وأخذ يعوّد نفسه على السرعة في أداء الحقوق المالية التي عليه ، وبدأ يلاحظ تحسناً في ابنته وكان قبلاً يقرأ عليها القرآن كثيراً ولا يلمس أي تحسن في صحة ابنته .

ومن القوانين الإلهية التي تحكم حياة المؤمن ، قول الله تعالى : ((وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ))

حادثة :

زرت جارنا البخاخ لأطمئن على صحته المعنوية والجسمية ، فلم أجده في محل عمله ، قال لي أجيره : إن أناساً أخذوه معهم بالسيارة ليشتري لهم مجموعة من الكراسي ، وطلب مني الأجير أن أنتظره ريثما يعود ، ثم اشتغل الأجير بإعداد الضيافة لي ، وفي تلك الأثناء غافلنا أحد المارين

في الطريق وسرق أحد كالونات الدهان الشفاف وكان من النوع الغالي ، ولما رجع صاحب المحل اكتشفنا الدهان المسروق ، فغضب صاحب المحل وانزعج ، وكاد أن يقع في الخطيئة ، فقلت له : هدأ نفسك إن الدنيا كلها لا تساوي شيئاً ، فاحمد الله على المصيبة وراجع نفسك واسألها أي جرم اقترفت فعوقبت ، وطلبت منه أن يراجع ذكرياته باحثاً عن المعاصي التي ارتكبها في يومه هذا أو أمسه ، فأخذ يسترجع الذكريات حتى وقف على المعصية التي وقع فيها وأخبرني عنها ، فإن هؤلاء الأشخاص الذين أخذوا البخاخ كانوا يريدون أن يخدعوا أحد النجارين ويسرقوا منه فكرة تصميمه الجديد الذي يعده خفية عن الناس فأخذوا البخاخ حتى يقدمهم إلى النجار على أنهم يريدن شراء طقم معين من

الكراسي ليتمكنوا بهذه الكذبة من رؤية التصميم الجديد ، قلت له : لقد أقدمت على خطيئة عظيمة وهي ظلم أخيك المسلم وخديعته ، والآن حاول أتتوب وترجع إلى الله ، فإن حصلت التوبة ، فأخبرني حتى أفرح لك ، وإن حرمت من التوبة أخبرني أيضاً حتى أحدثك عن سر الحرمان ، ثم لقيته بعد أيام ، فبادرته قائلاً لم تستطع أن تتوب ، أليس كذلك ؟ قال : نعم ، ولكن كيف عرفت ذلك ، هل تعلم بالغيب ؟ قلت له : إن الأمور التي أعلمها قد لا تعلمها أنت فتصير في حقك غيباً ، أما في حقي فهي مكشوفة وليست غيباً ، قال لي : أخبرني كيف عرفت فأنني حاولت أن أتوب من مدة فلم أر أن توبتي قبلت ؟ قلت له : قبل أن أخبرك أخبرني أنت كيف عرفت أنه لم تقبل توبتك ؟

قال : إنني كلما طلبت التوبة أشعر أن قلبي قاس لا يلين أبداً وعيوني جامدة ، إنني أشعر بالملل من الصلاة

والذكر ، قلت له : صدقت ، والآن سأخبرك : إن توبة المسلم لا تقبل إلا بالرجوع إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فعنده مفاتيح الخيرات ، أما قال سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((المسلم أخو المسلم ، فلا يظلمه ولا يسلمه)) فأنت ظلمت أخاك عندما أخفيت عنه خديعة هؤلاء الأشخاص ، وأسلمتهم لظلم صاحبك ولم تردّهم عن الظلم ، كان ينبغي أن تخبر أخاك بالأمر وتنصح الآخرين بترك الخديعة ، أما وقد وقعت في المعصية ، فليس أمامك من مخرج إلا عند سيدنا

محمد صلى الله عليه وسلم ، الذي نهى عن الخيانة ، فما عليك إلا أن تذهب إلى أخيك وتقص عليه قصتك وتطلب من الصفح والمسامحة .

وفي اليوم التالي ذهب إليه فتصافحا وتسامحا ودعا كل واحد منهما لصاحبه ، ولما عاد أقبل إلى الصلاة فرقَّ قلبه وفاضت عيونه وحصلت توبته ، وفي اليوم التالي كان السارق قد تاب وأرجع كالون دهان مثل الذي سرق ، والطريف في الأمر أن البخاخ فتح علبة دهان جديدة وكانت صالحة للعمل ، ثم أذن الظهر فذهب إلى الصلاة وعاد ليجد العلبة التي فتحها قد يبست على غير العادة ، فشعر أنه كان ينبغي عليه أن يتصدق من ماله امتناناً وشكراً لله على ما أنعم

عليه من التوبة وعلى ما أكرمه بأن هيأ له من يعلمه ويدله على الخير .

حادثة :

قال تعالى : ((مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزَى إلا مِثْلَهَا)) غافر: ٤٠

حدثني أحد الشباب وهو في سن المراهقة أنه كان سائراً في السوق وكان السوق مزدحماً ، فوضع يده ، في عجيزة امرأة شابة كانت أمامه وفي نفس اليوم سمع هذا الشاب أمه تذكر لأبيه أنها كانت تمشي مع أخت زوجها الشابة ،فغمز

رجل بيده في عجيزة عمة الشاب ، فأعلن الشاب توبته أنه لن يعود إلى مثل تلك السيئة .

حادثة أخرى :

عرفت شاباً ، كان طيباً بسيطاً خفيف الظل ، لكن لمست منه قلة الاهتمام بأشياء الآخرين ، وكان يملك دراجة نارية ، وكان لا يرد أحداً عن استعارتها ، وبينما كنت عنده جاءه شاب يريد أن يستعير منه الدراجة النارية ، فقال صاحب الدراجة خذها إذا سمح لك فلان –يقصدني– فقلت للذي يريد أن يستعير : لماذا تريد استعارة الدراجة ؟ قال : أريد أن أجلب عليها طعام

الغداء ولن أنساك سوف أدعوك للغداء عندي ، قلت له أليس عندك دارجة عادية ؟ قال : نعم ، قلت له : أين هي ؟ قال : هاهي أمام بيتي ، قلت : وهل تعمل ؟ قال : نعم ، قلت له اذهب واجلب الغداء على دراجتك واترك دراجة الآخرين ، ثم إنني طلبت من صاحب الدراجة النارية أن يبيعني إياها ، قال كم تدفع فيها ، قلت : سعراً غالياً جداً قال : ما هو ، قلت : أعلمك آية من القرآن ، قال : موافق ، قلت له : هات الشهود ، فجاء الشهود وأبرمنا العقد على ذلك ، ثم قلت له بعد أن علمته الآية : لقد انعقد البيع في السماء وأصبحت الدراجة ملكي وأنا حر الآن أفعل بها ما أريد ، أبيعها أو أهبها لمن أشاء ، هل قبلت هذا ، قال : نعم ، بارك الله لك ، ثم قلت له : إنني أريد أن أعيرك

دراجتي ، فإياك أن يركبها أحد إلا أنت وأبوك ، ومضت أيام ثم ذهبت إليه لأنظر ماذا حل بدراجتي ، فأخبرني أنه أعارها ، ثم سرقت في اليوم التالي من أمام بيته ، فعنفته لأنه استهان بملكي وطلبت منه أن يبحث عنها أو يضمن لي ثمنها ، فقال لي :كم تريد ثمنها ، فقلت : كذا وكذا من المال ، فدفع لي ثمنها ، ورأيت أن أخذ المال أوجع أدعى أن يندم ويهتم بحقوق الآخرين ، ثم إنني أردت أن أثمّر له المال ، فجعلت أزور بعض التجار الذين أتوسم فيهم الصلاح ، فكلما مررت بواحد منهم كشف الله لي سوء عمله فمنهم من حلف أمامي لزبونه أنه اشترى البضاعة بكذا ، ثم حلف لزبونه الآخر على نفس البضاعة بغير ذلك ، ومنهم أظهر

لصاحب البضاعة العيوب الموجودة وغير الموجودة في

السلعة ليأخذها بسعر أدنى ، ثم أطلعني على محاسن البضاعة وأنها ممتازة جداً ، ومنهم من يحترم الذين لا يطالبونه بحقوقهم ويمدحهم ، ويغتاب ويبهت الذين يعطيهم حقوقهم المالية ويمن عليهم بذلك ، ومنهم من رد فقيراً أمامي بقطعة من المال لا تكفي لشراء رغيف خبز ، وأعطى فقيراً آخر عطاء جزيلاً ، فسألته لماذا منع هذا وأعطى هذا قال : هذا لا ينفعني ، أما الثاني فسوف أستفيد من مواهبه عندما أنهي بناء المحل الجديد ، فأنا أشتري هذا الشخص من الآن ، فلما رأيت ذلك علمت أن لو دفعت المال لأحدهم ليثمره لأدخل فيه الشبهات ،

فأرجعت المال من الذي أخذته وطلبت منه أن يقيم لحقوق الناس وزناً كبيراً وبينت له سبب المصيبة التي وقعت له ، وأن الله سوف يعوضه عنها خيراً .

حادثة أخرى :

عملت دهاناً مع أحد إخواني ، وطلينا بيتاً لرجل موسر ، وكان هذا الرجل كريماً يذبح للأضياف وكان يصلي أكثر الصلوات في المسجد ، وكنا نتعجب من بذله للأضياف ، وبخله علينا عندما نطلب منه جزءً من أجرة عملنا ، وبعد أن أنهينا دهن البيت بقي لنا في ذمة الرجل جزء كبير من الأجرة ، فوعدنا أن يعطينا كل أسبوع قسماً محدداً مما بقي لنا من الأجرة في ذمته ، فأعطانا في الأسبوع الأول قسماً من القسم الذي اتفقا

عليه ، وفي الأسبوع التالي لم يعطنا شيئاً ، وفي تالي الأيام طردنا ولم يعطنا شيئاً ، فيئسنا منه وتركنا الأمر لله يحكم فيه ما يشاء ، وقمت بنظم بعض أبيات وأردت أن أعطيها لخطيب الجامع وأطلب منه أن يتكلم في الخطبة عن أداء الحقوق ، فيغرب في أدئها ويرهب عن أكل حق الأجير وظلمه وهي :

يا من يظن الناس أنك مسلمُ

ويرون أنك للمساجد تقدُمُ

فاذكر لحاجتك اتخذت منفِّذاً

ووعدت أنك للأجير ستكرم

فمنعت من حق الأجير وأجرَه

ورضيت أن تحيا تجور وتظلم

فغداً تلاقي النارَ تطلب مُسحِتاً

من سُحْتِه تنمو الجسوم وتعظُم

فلما اقتربت أيام عيد الأضحى نقل هذا الرجل إلى المشفى وبعد فحصه تبين أنه لم يبق مرض مكروه عند الناس في الدنيا إلا ووجد في ذلك الرجل (سرطان – سل – قلب ...) وأدخل بعض أولاده السجن بتهمة تهريب أسلحة ، فلما جاءنا خبره عن طريق ولده الصغير ، أذهبتِ الشفقةُ التي اشتعلت في قلوبنا ما كنا نجده على ذلك الرجل ، وذهبنا لنعود هذا المريض محتسبين ذلك عند ربنا عز وجل ،

فدخلنا على الرجل فوجدناه على فراش الموت لا يستطيع الحراك شكله يذكر برائحة الموت كل لحظة ، فتكلمنا معه كلاماً طيباً ، نحثه فيه على التوبة ونأمّله بكرم الله ورحمته للعباد ، ثم دخل علينا أناس وسلموا على الرجل وأخذوا يتناقشون مع المريض ، فإذا ذلك المريض المقبل على آخرته ينسى كل شيء يقبل على المساومة لشراء سيارة ثالثة يضمها إلى ممتلكاته ، ثم يخرج المال الكثير أمامنا ، فكسر بذلك خواطرنا ، وزاد فعله هذا من مرارة قلوبنا ، وتألمنا على وجود ناس بهذه الفظاعة من الحال ، فتركناه وحالنا يقول إنا لله وإنا إليه راجعون ، وبعد أيام مات الرجل وجاء أولاده وأعطونا الأجر الذي بقي لنا بذمة أبيهم وطلبوا منا مراراً أن نعفو عنه ونسامحه .

حادثة أخرى :

ما إن دخلت محله حتى بدأ يغتاب بعض الناس الذين أحبهم ويبهتهم قصداً حتى يغيظني بذلك ، فكرهت ذلك وبينت له أن البهتان والغيبة من الشرور التي لا يرضاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينت بعض الآيات والأحاديث التي ترهب من مثل هذا العمل ، وبعد أن أنهيت حديثي عاد إلى ما كان عليه من السوء بدعوى أن هذا من المزح وليس بحرام ثم أخذا يلقِّب إنساناً أحسبه صالحاً بلقب فاسد ، قلت له : لماذا تلقِّبه بلقب لا يرضاه الله ولا رسوله ولا

المؤمنون ، قال لي : أنا أقول مثل هذا الكلام أمامه ، فلم يكد ينهي كلامه حتى جرح إصبع ولده جرحاً عظيماً ، نظرت إلى الولد والدم ينزف منه وهو يحمد الله تعالى على هذه المصيبة ويسترجع وهو فرح بلطفه الله ، أما الأب فكاد يقتل نفسه فزعاً على ولده ، قلت له : هذا الألم الذي حدث لك على ولدك عقوبة لك وتنبيهاً لك على استهانتك بحقوق الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وحقوق المؤمنين ، وإنني أسال الله تعالى أن يجعل هذا الألم الذي أخذك كفارة لك .

مرت أيام قليلة ، فدخل عليه الرجل الذي اغتابه أمامي ، فراح يغتابني أمامه ، فما أنهى كلامه

حتى أصيب ابنه الثاني وجرح إصبعه مثل إصابة أخيه تماماً .

ومن القوانين الإلهية التي تحكم حياة المؤمن ، قول الله تعالى : ((**إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاء إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**))

يظهر الله عز وجل لقلوب الناس بمظهر الربوبية ، فمن كان يؤمن بأن الله جل وعلا ربّه فيجب أن يرى نفسه عبداً مملوكاً له لأن الرب يجب أن يكون مِلكاً مالكاً أي يملك كل شيء ويتحكم ويتصرف في كل شيء كما يريد ، فمن عرف ذلك فلا يحق له أن يتمرد على طاعة ربه ، ويجب على العبد أن يرضى بكل أفعال وأقوال ربه لأن الرب يربي العبيد فأفعاله معهم تربية لهم وأقواله إليهم تربية لهم ، وهو يربيهم باللطف

واللطف يكون بالعطاء والمنع ، ولو أراد كل إنسان أن يلاحظ اللطف الرباني عليه لكتب من قصص ذلك كتباً كثيرة .

حادثة :

كنت في أداء الخدمة العسكرية ، ولم أستطع الخروج لصلاة الجمعة إلا قبل نصف ساعة من الخطبة ، والطريق إلى المسجد يحتاج إلى قرابة ساعة لو ذهبت هرولة ، فسلكت إلى المسجد طريقاً ترابياً مختصراً خطراً ، فلما كنت في أوله خرجت عليّ مجموعة من الكلاب ، فرحت أناورهم وأضربهم بالحجارة ، فزادت رغبتهم في إيذائي ، وأخذوا يهجمون ، إذا تقدمت تقدموا وإذا رجعت وقفوا ، شعرت بالخوف ورحت ألوم

نفسي وأقول : (لو أنك تخاف من الله لخافت منك الكلاب) وهكذا رجعت كئيباً حزيناً منكسراً ، قلت : يارب سامحني لأنني سأترك صلاة الجمعة ، وبينما أنا كذلك إذ وقفت سيارة عابرة وقالوا هل أنت ذاهب للجامع ؟ قلت نعم ، وهكذا أدركت صلاة الجمعة وعرفت كيف أن ربنا عز وجل يربينا ، فإنه لو خافت الكلاب مني لظننت أنني أخاف من الله وتعاظمت نفسي ، أما هكذا أحسن أحمد الله تعالى على لطفه عندما منع نفسي أن تتعاظم وعندما أكرمني من فضله ورزقني من حيث لا أعلم .

حادثة :

لي أخ في الله يعمل لحسابه الخاص ولا يعمل أجيراً عند أحد إلا للضرورة ، وفي بضعة أشهر

توقف مورد عمله ، فاشتغل أجيراً ليكفي عياله ، كان صاحب العمل يسب الخالق جل وعلا على أتفه الأسباب ، وكان صاحبي يعظه ويبين له شناعة هذا المنكر ، ولكن الرجل (الذي يظهر الإسلام بالصلاة والصيام) لم يعبأ بنصح الرجل وظل على عادته ، كان صاحبي يتألم كثيراً عندما يسيء أحد من الناس الأدب مع الله ويمتعض ويحزن ويثور وينتفض ويمرض ، فترك العمل الذي كاد يجده بشق النفس ، فقال له صاحب العمل مستهزئاً متهكماً بلغة ساخرة (القاعد في بيت أهله يطلب من ربه) وأخذ الناس من أهل الرجل وغيرهم يلومونه : كيف تترك هذا العمل الجيد والناس لا يجدون عمل هذه الأيام ؟!

وقعد هذا الرجل الذي ترك العمل لله في بيته ثلاثة أيام بلا كسب ، وفي اليوم الثالث فتح الله عليه من أبواب الرزق في أسابيع ما يكفيه نفقة عام كامل ، وهكذا كان هذا الرجل أكثر الناس في حيه حصل على عمل ذلك العام

حادثة أخرى :

قصدت أخاً لي في الله وقلت في نفسي أذهب فأسلم عليه ونتبادل الحديث فيما بيننا حتى تزداد حلاوة الإيمان في القلوب ، فلما جلست إليه وبينما كان ينشغل بتحضير الشاي إذا دخل علينا إنسان وراح يتكلم في الدين ويخبط فيه خبط عشواء ويغتاب العلماء المشهورين بالزهد والورع بين الناس ، فانقبض قلبي من كلامه حتى أوشكت أن أحقد عليه وبدأ الغضب يتسرب

إلى قلبي ، ثم أخذت ألجأ إلى الله بالدعاء في قلبي أن يصرف الرجل عني ، فاستجاب الله لي بطريقة عجيبة معجونة بالكرم واللطف والرحمة ... فقد كان الرجل محتاجاً إلى بعض الدواء وكان رجلاً فقيراً وكان الصيدلاني نصرانياً وكان يعطيه الدواء مجاناً وكان ذلك اليوم عطلة الصيدلاني وبينما كان ذلك الرجل الفقير يوجع رأسي بتسفيه علماء المسلمين وأنا أستجير من كلامه وإذا بالصيدلاني يقف بسيارته عندنا فيسلم علينا ويقول : احتجت إلى شيء في الصيدلية فتركت البيت وخطفت نفسي لأحضره فهل لأحدكم حاجة إلى دواء أو غير ذلك ، فقال الرجل الفقير نعم أنا بحاجة لدواء كذا وكذا ، فذهب مع الصيدلاني وأراحني الله منه ،و لما تأملت في ذلك أدركت كيف أن الله عامل

الرجل الفقير بالحلم والكرم فلم يعاقبه على الإساءة للإسلام وعلماء المسلمين فأخرج الصيدلاني في يوم عطلته ليكون خروجه الضروري هذا من أجل خدمة الرجل الفقير ،

وكيف أن الله جعل قضاء حاجة الفقير على يد غير المسلمين فعجبت من صنيع الله ، ثم إنني أدركت كيف أن الله عز وجل عاملني باللطف فأقدرني على كظم الغيظ أولاً ثم أكرمني بأن أذهب من صدري الغل عندما طالعني من صفات جمال الربوبية ما يدهش الألباب .

ومن القوانين الإلهية التي تحكم حياة المؤمن ، قول الله تعالى : ((وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاء إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ))

سألني سائل لماذا لا نرى الصالحين عندهم أموال كثيرة ، بينما نرى أن أصحاب الأموال أكثرَهم الفاسقون ؟ قلت له : هكذا قدر الله تعالى وهو العليم الحكيم ، ولكن تعال نستخرج الحكمة من ذلك : من الحكم في ذلك أن مهمة الصالحين في المجتمع هي تصفية الناس من الأخلاق المرذولة وتأليف القلوب بعضها على بعض ، فإذا كان الرجل الصالح صاحب مال كثير فإن الناس سوف تجتمع عليه وتأخذ أمواله ثم تذهب بغير تربية ، وقد قال الله تعالى لنبيه

صلى الله عليه وسلم ((لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)) ، من الحكم أيضاً أن الله تعالى سلَّم قلوب الصالحين من حب المال وصبغهم بالجود والكرم والسماحة فإذا أعطاهم المال الكثير فسيجعلونه في أيدي الناس وهكذا يبسط الرزق في أيديهم ، فإذا أراد أحدهم أن يسخِّر غيره لخدمته أبى الآخر أن يخدم أخاه لأنه واسع الرزق فيلجؤون إلى الإكراه والقتل والبغي ليخدم بعضهم بعضاً وهكذا يظهر بعض معاني القانون الإلهي ((وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاء إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ)) .

ومن القوانين الإلهية التي تحكم حياة المؤمن ، قوله صلَّى اللَّهُ عَليهِ وسلَّم : ((إذا جاءكمْ من ترضونَ دينهُ وخلقهُ فأنكحوهُ، إلاَّ تفعلوا تكنْ فتنةٌ في الأرضِ وفسادٌ)) رواه الترمذي

حادثة:

كان شاباً ذا خلق ودين كنت أنا الذي عقدت له عقد الزواج ، وبعد فترة ، التقيت بوالد ذلك الشاب وسألته عن ولده فأخبرني أن أهل الزوجة قد طلبوا المخالعة فصار لهم ما أرادوا ، سألته عن السبب فأنبأني الخبر وهو أن هذا الشاب كان يحاول بناء بيت صغير ليضم فيه أسرته وأنه مرت عليه فترة من الزمن بطأ به كسبه فأصاب

حرفته نوع من الكساد فلم يستطع إكمال بناء البيت ، من أجل ذلك كانت المخالعة .

وعلى أثر هذه الحادثة تغيرت ثقة هذا الشاب بالناس وتغيرت رؤيته للأمور فغير حرفته واحترف بحرفة بيع وشراء اللهو فاستأجر محلاً وحوله إلى صالة للعب واللهو وهكذا أصبح من المساهمين بنشر الفساد.

حادثة أخرى:

كنت ألتقي بشاب يعمل في مصلحة المسجد ويعمل عملاً أخر ولا يستطيع أن يدخر مالاً ليتمكن من الزواج ، كان يطلب من والده أن يزوجه فكلما طلب منه ذلك أجاب الوالد بالمنطق السائد في المجتمع وهو أن الناس لا

يهتمون بالدين والأخلاق ، من ملك المهر وتكاليف الزواج أعطوه ، كان هذا الشاب يشكو لي همه وعدم صبره على الفتن وتألمه من هذا المنطق السائد فكنت أنصحه بالصبر والصوم ومحاولة تعليم الناس قوله تعالى ((وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)) ، وقوله صلى الله عليه وسلم: ((ثلاثةٌ حقٌّ على اللهِ عونهُم المجاهدُ في سبيلِ اللهِ والمكاتبِ الَّذي يريدُ الأداءَ والنَّاكحُ الَّذي يُريدُ العفافُ)) وقوله صلى الله عليه وسلم : ((إذا جاءكمْ من ترضونَ دينهُ وخلقهُ فأنكحوهُ، إلاَّ تفعلوا تكنْ فتنةٌ في الأرضِ وفسادٌ))

كان هذا الشاب يبحث عمن يؤمن بهذا الكلام إيماناً عملياً عسى أن يتزوج بنت أحدهم فلم يجد ، وبعد فترة لقيته فأخبرني أنه ذهب إلى أحد بيوت الدعارة فلما دخل البيت وعرض عليه العاهرات أصابه وجع شديد في بطنه حال بينه وبين الزنا.

حادثة أخرى :

أكثر الناس ينظر إلى المال ولا يقيم وزناً لقوله صلى الله عليه وسلم : ((إذا جاءكُمْ من ترضونَ دينهُ وخلقهُ فأنكحوهُ ، إلاَّ تفعلوا تكنْ فتنةٌ في الأرضِ وفسادٌ)) ومن الناس منافقون يكون لأحدهم بنتاً مريضة لا تصلح للزواج أو مجنونة فيتخذ من كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم وسيلة للخداع فإذا وجد شاباً ذا

خلق ودين أخذ يتودد إليه ويردد كلام الله عز وجل : ((إِن يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)) وكلام الرسول صلى الله عليه وسلم : ((إذا جاءكمْ من ترضونَ دينهُ وخلقهُ فأنكحوهُ، إلاَّ تفعلوا تكنْ فتنةٌ في الأرضِ وفسادٌ)) حتى يصيد ذلك الشاب فيخطب ابنته ويسهل الأب زواج هذا الشاب ثم يكتشف المصيبة.

لي أخ في الله خدع بهذه الطريقة فلما تزوج وجد زوجته مريضة مرضاً مزمناً يتعارض مع سلامة النكاح وقد زوجها أبوها ليتخلص من نفقتها، وهكذا بقي هذا الشاب زمناًً طويلاً حائراً قلقاً كالمجانين حتى يسر الله عليه ، ولي أخ آخر بعد الزواج اكتشف أن في عقل زوجته مرضاً لا

تستقيم الحياة الزوجية معه ، ففي ذات ليلة كان الرجل نائماً فجاءت الزوجة بالمقص وأرادت أن تقص فرج زوجها ولو لطف الله تعالى بالرجل لكان ذلك .

حادثة أخرى:

سألني شاب عن مسألة من مسائل القروض الربوية فأوضحت له حكم تحريمها، ثم سألته عن أحواله هل يصلي أم لا فأخبرني أنه جديد التوبة وقد أمضى عمره في الفسق والمجون وارتكاب الموبقات ، سألته فيما إذا كان متزوجاً أم لا فأخبرني أنه متزوج ، فسألته متى تزوج قبل التوبة أم بعد ، فأخبرني أنه تزوج قبل أن يتوب ، قلت له: لاشك أن والد زوجتك رجل سيء، قال :

لا هو مسلم يصوم ويصلي ، قلت له : لم أقصد هذا ولكن أقصد أخلاقه معك ، قال : إنه هو ووالدة زوجتي لا يوجد أسوء منهم ، قلت له إنني عرفت ذلك ، قال لي: كيف عرفت ذلك ، قلت له حدثني كيف تزوجت ثم أبين لك كيف عرفت ، قال: طلب أهلي البنت فاستمهل أهلها حتى يسألوا عني ، فسألوا عني في الحي الذي عشت فيه ، فلم يمدحني أحد وسكت بعضهم عن ذمي ، وذلك لأن مشكالي كلها خارج الحي وأكثر أهل الحي لا يعرفون أنني أمشي في طريق الشيطان ، وبعد أيام وافق أهل البنت على الخطبة فلما رأيت البنت وجدتها بنتاً طيبة فخفت أن أخدعها فحكيت لوالدها عن أحوالي وأنني من رواد المقاصف وزوار العاهرات ، فقال : يا ابن أخي ما في

شجرة إلا وهزها الهوى ونحن قد أعطيناك البنت.

عندها قلت له : الآن أبين لك كيف عرفت أنه رجل سيئ ، والد زوجتك عندما سأل عنك عرف أن دخلك المادي كبير ، لأنك كنت لا تميز من أين تكسب المال من حلال أو حرام فلما كان المال يجري بين يديك ، لم يهتم بعد المال لا بدين ولا بخلق ، ولو كان يقيم وزناً للدين والخلق لقال لك : يا ابن أخي ليس لك عندنا شيء حتى تتوب وتستقيم على طاعة الله ورسوله فإذا فعلت أعطيناك البنت.

مع الشيطان وضمن المباح :

سألني عن حكم الزواج بكافرة ، قلت له يومها : حرام لا يجوز لأن الله تعالى يقول : ((ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمِنَّ)) وقلت له إن العقد على المرأة الكافرة لا ينعقد في السماء ، بل يعد زنى ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((واستحللتم فروجهن بكلمة الله)) فإذا كنت تحب هذه المرأة فاعرض عليها الإسلام ، فإن قبلت الدخول في الإسلام فاطلب منها أن تتمسك بآداب الإسلام وشرائعه فإن بدأت تفعل ذلك ، فلا مانع أن تتزوجها . ومرت الأيام ، ثم لقيت هذا الإنسان وسألته عن حاله فإذا هو قد تزوج من تلك المرأة رغم عنادها وتمسكها بالكفر ، وهو قد عجز تماماً عن إقناعها بالإسلام ، قلت له : ما رأيك بعملك هذا ؟ قال : إني أعلم أن هذا حرام وأنه

زنى ، وأنني إذا قلت لها ولأهلها : (كل من على دينه الله يعينه) هذا يعني رضا بالكفر وهذا مثل الكفر ، ولكن أنت يا شيخ لا تعرف عن الحالة التي أنا فيها وعن الأضرار التي ستلحق بي إن أنا تركت هذه المخلوقة .

قلت له : أفلا تلاحظ أنك تعرف وتحرف ، قال : لا، يا شيخ أنت لا تعلم ماذا في القلوب (يريد أن يشير على أن قلبه مطمئن بالإيمان)

قلت له : انتبه إلى نفسك إنك تتكلم مثل الشيطان ، وعلى كل حال بما أنك تقول لي أن قلبك مازال مفعماً بالإيمان ، فهل تنكر أن المؤمن يتحاكم في شؤون حياته كلها إلى كلمات الله ، ولا يحكم نفسه بكلمات الشيطان ، قال : لا أنكر هذا أبداً .

قلت له : فهيا نتحاكم أنا وأنت إلى كلمات الله ، قال : أنا موافق قلت له : هل تريد أن تتقي الله عز وجل وتتوب إليه وتتخلص من معصية الزنى ؟ قال : نعم ، قلت : يقول ربنا عز وجل : ((ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب)) فأنت إذا كنت مؤمناً فينبغي أن تثق بكلام الله ، أي : إذا لم تقتنع هذه المخلوقة بالله وتعمل بشرائع الإسلام ، ينبغي أن تهجرها وتبتعد عن الزنى ، هكذا تتقي الله تعالى ثم إن الله جل وعلا سيفرج همومك ويرزقك طيباً من حيث لا تحتسب .

قلت له : ما رأيك بهذا الكلام ؟ قال : هذا كلام حق ، ولكن أنت يا شيخ لا تعرف ما هي المشكلة ، قلت له : إذاً ، إن المشكلة مادية ، قال : نعم ، قلت له : إن الآية التي

ذكرتها لك تغنيك ، ألم تلاحظ وعد الله لمن اتقى ، ((ويرزقه من حيث لا يحتسب)) ، قال : نعم ، ولكن الإسلام يقول : ((لا ضر ولا ضرار)) وأنا إذا تركت هذه المخلوقة ، سوف تقدمني للسجن لأن لها في ذمتي مبلغ كذا وكذا تأخذه حين الطلب ، وإذا وضعت في السجن سوف أطرد من عملي ، وهكذا سوف أتضرر ، والإسلام لا يريدني أن أقع في الضرر ، لأن ربنا عز وجل يقول : ((يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)) وليس أمامي حل إلا ان أصبر وأنتظر حتى يرزقني الله مالاً فادفع لها مالها وأتركها ، قلت له : إنك تتكلم مثل الشيطان تماماً ، الحل ليس كذلك : الحل أن تضع رقبتك في يد رجل مسلم ولا تضعها في يد امرأة كافرة ، وما عليك إلا أن

تستدين من رجل مسلم المبلغ الذي يخلصك منها ، فإذا تخلصت منها ومن المعصية معها تكون قد اتقيت الله وعندها سيرزقك الله من حيث لا تحتسب ليؤدي الله عنك ديونك ، فاذهب إلى فلان فسوف يعينك على تدبير هذا المبلغ الذي يعتق رقبتك من أسر المعصية ، وأنا سأزورك بعد أسبوع إن شاء الله لأنظر كيف صنعت ماذا حدث لك .

وبعد أسبوع لقيته فوجدته كما هو لم يتقدم شيئاً ، بل تراجع إلى الوراء وازداد إثماً ، قلت له مؤنباً بلهجة بليغة : وعلى مبدأ الآية الكريمة ((أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فاعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً)) قلت له : لا يغرنك أنك تعرف الحلال والحرام وتظن

نفسك بهذه المعرفة مؤمناً حقيقياً ، أو أنك على خير ، كلا ، بل أنت على جرف هار ، وإذا بقيت على ذلك سوف تفقد هذا الإيمان الضعيف الواني ، فلقد بينت لك الحل الأمثل للخروج من المعصية وهو متيسر لك ، بل وسهل عليك ، لكنك ترفضه أتدري لماذا ؟ لأن مودة الكفار قد هيمنت على قلبك ، وإذا دخلت مودة الظالمين في قلب عبد آذن الإيمان بالرحيل ، فإيمانك الآن يحزم أمتعته ليسافر عنك ، قال : يا شيخ أنت لا تعرف ماذا في القلوب ، قلت له : بل عندي علم ببعض أحوال القلوب .

إذا لم تتق الله وتهجر هذه المعصية ، فهذا يعني أنك تحب تلك الكافرة كثيراً وتجد لها في قلبك

مودة كبيرة وقد قال الله عز وجل: ((لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله)) .

وهذا آخر لقاء بيننا ، فليس لك عندي عهد إلا أن تتقي الله وتصلح دينك .

ثم إنه رغم عناده وتمسكه بالباطل أراد الله عز وجل أن يريه بعض أسرار الكلام الذي نصحته به ، وذلك أن الله تعالى بلطفه وكرمه أوقع الشقاق بينه وبين تلك الكافرة وأذهب محبتها من قلبه ، فأراد طلاقها ولكنه ظل خائفاً من تدبير المبلغ الذي أمسكت به رقبته ، ثم التقيت به في تلك الأيام فحكى لي آخر أخباره ، ورأيته ضائعاً متردداً ، فقلت له : طلقها ولا تخف من المبلغ فإن الله عندما قدر الشقاق بينكما ،

فكأنه يقول لك : يا عبدي قد فتحت لك باباً للتوبة وأنا الحسيب ، وقلت له : إذا تبت إلى الله وتخلصت من المعصية فإن الله سيكفيك هم المبلغ الذي تخاف أن لا يتيسر ، لأن الله الذي قال : ((ويرزقه من حيث لا يحتسب)) هو أصدق القائلين .

ثم إنه طلقها وكانت النتيجة أن زوجته المسلمة القديمة ورثت عن أهلها وتكلفت أن تدفع لزوجها جميع المال الذي يخلصه من قبضة تلك الكافرة .

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى طمس الله على عقل المرأة الكافرة أثناء استجوابها أمام القاضي وأجرى الله على لسانها كلمات سُجلت لصالح غريمها ، فخرج بذلك من القضية سالماً ولم

تستطع أن تذله ، فأدرك بقلبه جلال معنى قوله تعالى : ((ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب)) .

عبادة الشيخ :

دخلت مجلساً اجتمع أصحابه على ذكر الله وتعلم الفقه في الدين ، وبعد الانتهاء من تلاوة الأذكار ، بدأ شاب بتوجيه وإرشاد الناس وهو قد سمح له شيخه بذلك وكان شيخه في بلد آخر ، وكان مما قال هذا الشاب : ((من السنة أن لا تعلم المرأة الكتابة ، لأن شيخنا قدس الله سره علم نسائه القراءة ولم يعلمهن الكتابة ، فتعليم الكتابة للمرأة خلاف السنة)) هذا الكلام أثارني وأحزنني ، قلت له : ما هو

الدليل على صحة ما تقول ، قال : إن الشيخ قدس الله سره كل حركة يتحركها فهي موافقة للسنة ، قلت له : فإن السنة غير الذي قلت ، فأنا أعرف حديثاً صحيحاً فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم دفع السيدة حفصة زوجته رضي الله عنها إلى الشفاء بنت عبد الله وأمرها أن تعلمها رقية النملة كما علمتها الكتابة ، وكانت الشفاء بنت عبد الله رضي الله عنها تعلم البنات الكتابة .

قلت له : ما رأيك بهذا الكلام ؟ قال : هذا حديث منسوخ : قلت له أين الناسخ ، قال : لو لم يكن حديثاً منسوخاً لفعله الشيخ . فانظر يا أخي القارئ إلى هذا المسكين كيف جعل فعل الشيخ ناسخاً لشريعة المصطفى صلى

الله عليه وسلم ، والحق الذي عليه أهل الحق أن الحلال ما أحله الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والحرام وما حرمه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وأن كل فعل وقول ليس عليه موافقة النبي صلى الله عليه وسلم فهو مردود على صاحبه مهما بلغ من صلاح .

ثم بينت للناس أن الخير في اتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم وأن جميع الخلق محكومون بسنته المطهرة ، وكادت أن تقع فتنة في المجلس ، فتركته وأنا غضبان وخاصة أن هذا المتكلم مثقف ودارس طب .

حادثة أخرى :

لي أخ في الله يحبني كثيراً ، وهو يعد نفسه من تلاميذي لما يستفيد مني من الخير والفقه في الدين ، زرته ذات يوم ، وكان عنده ضيف ودار بيني وبين الضيف حديث حول المرشدين ومقامات الأولياء ، وبدا لي من خلال حديثه أنه يضع مشايخ طريق التصوف في درجة أعلى من أئمة الفقه الأربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد ، فذكرت له بعضاً من أقوال الإمام أحمد الرفاعي قدسه الله ، فقد قال في أحد دروسه : ((نهاية طريق الصوفية هو نهاية طريق الفقهاء)) وقال أيضاً ((لا تقولوا قال الحارث وأبو يزيد ، ولكن قولوا : قال الشافعي ومالك واعملوا ، ثم تفكهوا بقول الحارث وأبي يزيد)) وبينت له أن المرشدين الحقيقيين هم الذين يعلمونك سنة النبي صلى الله عليه وسلم

وهم يتأدبون بآدابه ويتخلقون بأخلاقه فإذا رأيت عالماً متأدباً بآداب الإسلام وهو يعلم الناس أحكام الحيض والنفاس والنكاح والطلاق فلا يعني أنه محروم من الولاية والصلاح ، فلا تقل كما يقول الجاهلون عندما يرون مثل هذا العالم ((أنظر إلى هذا غارق في الدماء وتحليل الفروج ، إنه مقطوع ومحجوب عن الله ، الصالحون لا يعكرون قلوبهم بذكر الحيض والنفاس الطلاق والزواج والبيوع ويضيعون الوقت بغير ذكر الله)) .

أنظر إليهم أيها الأخ الكريم كيف ينتقصون أقوالاً وأفعالاً كان يقولها ويفعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أما كان رسول الله صلى الله

عليه وسلم يبين للناس أحكام الحيض والنفاس ويحرم ويحلل الفروج بالطلاق والزواج ؟! .

وحانت صلاة المغرب ، وقفت بهم إماماً ، وفي الصلاة ظهرت مني (بغير قصد) مخالفة لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي أنني جعلت القراءة في الركعة الثانية أطول من الركعة الأولى ولم أنتبه إلى نفسي لأنني كنت مشغولاً بما يلقيه الله في فهمي من معاني الآيات التي قرأتها ، بعد نهاية الصلاة توجهت إلى أخي في الله وقلت له : هل لاحظت شيئاً مميزاً في الصلاة ، قال : نعم كانت قراءة الثانية طويلة ، قلت ماذا ترى في ذلك ، فسكت ثم أخذ يفكر ويقدر ، ثم قال : أنت يا شيخ لا تعمل إلا الصح ،

قلت له : ما حكم تطويل القراءة في الركعة الثانية عن الركعة الأولى ، قال :

مكروه لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجعل الركعة الثانية أقصر من الأولى ، قلت له : انتبه وعليك بالتوبة والاستغفار ، كنت تظن نفسك متأدباً معي ، لكنك غير متأدب معي لأنك تركت نصيحتي وأنت بهذا الأدب الخاطئ تدفعني إلى مزيد من المخالفات وتزين لي العمل الخاطئ مثل الشياطين ، وإذا جعلت أخطائي عملاً صالحاً وقلدتها فقد وقعت في عبادة الشيخ وأسأت الأدب مع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كيف تصنع المعجزة

هناك مفتاح يُفتَح به باب المعجزات ، وعلى ذلك المفتاح نوع المعجزة التي يفتح بابها ، ألا وهو الثقة بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وسأبين بمشيئة الله تعالى من خلال هذه الحادثة ما هو المفتاح وكيف يستخدم :

مررت بأخ لي في الله ، فوجدته كئيباً حزيناً ، سألته عن سر غمه وهمه ، فأخبرني أن بعض العملاء الذين يتعامل معهم قد حبسوا ماله عندهم ، ولم ييسروا الصكوك للحصول على حقه من المال ، وهكذا ترتب عليه ديون للناس ، وبدأ يهرب من ملاقاتهم ، وربما وقع في الكذب ، وقد نقصت أذكاره وعباداته ، وفترت همته عن الكسب والمعيشة ، وفرط بحق أهله وأولاده ، وصار بحالة يرثى لها .

قلت له : عندي مفتاح إن أنت أخذت به تغيرت أحوالك كلها ، وتحققت المعجزة ، قال : بالله عليك أسعفني بهذا المفتاح .

قلت له : المفتاح هو الثقة بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وسوف أريك إن شاء الله كيف تصنع ثقتي بالله ، أترى إلى علبة السكر هذه سوف أدعوها ، وبإشارة من إصبعي سوف تأتيني ، أنظر إليّ كيف أصنع ، ثم أشرت إلى العلبة ، وقلت : بحق الله عليك أن تأتي إليّ ، فإذا بعلبة السكر لم تتحرك من مكانها قلت له : غريب لماذا لم تأت العلبة ، إني لا أشك بثقتي بالله ، عجيب لماذا لم تتحرك ؟ إذا كان الأمر كذلك فتعال نبحث لماذا لم تتحقق المعجزة ؟

قلت له : سوف أسأل سؤالاً وجيهاً وسوف نفكر ونستخرج عليه جواباً .

السؤال هو : ما هي الغاية والهدف من حصول المعجزة ، أو لماذا أريد أن تأتي علبة السكر لعندي ؟

هيا حاول أن تجيبني على ذلك ، فكر قليلاً ، ثم قال : الغاية من ذلك أن تبين لي كيف تكون الثقة بالله ، قلت له : يمكن أن نستخرج بعض الغايات أيضاً :

- منها أن يكون في المجلس بعض أهل الكفر والجحود وأريد أن أدفعهم إلى الإيمان بالله من خلال حصول هذه المعجزة .

- ومنها أن أريك كيف تصنع الثقة بالله .
- ومنها أن أريك أنني صاحب كرامات وأتمتع بثقة عالية بالله تعالى .

- ومنها أنني أستثقل التحرك إلى العلبة لجلبها .
قلت له : هيا نناقش هذه الغايات ونزينها بميزان الشرع الإسلامي .

فأما أن أريد حصول المعجزة حتى يدخل الإيمان في قلب كافر جاحد فليس ذلك بمطلب حق ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم عندما طلب من ربه حصول المعجزات أمام المعاندين ، قال له : ((قل هل كنت إلا بشراً رسولاً)) ولقد كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يصنعون المعجزات الباهرات أما اقوامهم المكذبين ومع ذلك لم يدخل الإيمان إلى قلوبهم ، في حين

دخل الإيمان في قلوب الذين اكتفوا بصدق الرسل وأمانتهم وحسن أخلاقهم ، وهكذا تنهار الغاية الأولى ، لأنها ليست مطلباً قويماً .
وأما حتى أريك كيف تصنع الثقة بالله ، فإنني أستطيع أن أريك كيف تصنع الثقة بالله بنوع خفي من المعجزات تكون أداة لتهذيب النفس بعكس بعض الخوارق التي تنفخ نفس الإنسان وتطغيها .

وأما أن أريد حصول المعجزة حتى أريك أنني صاحب كرامات وأتمتع بثقة بالله عالية ، فذلك مطلب خالص للنفس تجد فيه شهوتها .

وأما أنني أستثقل التحرك إلى العلبة لجلبها فتلك غاية أهل الدعة والخمول .

وهكذا كشفنا النقاب عن الغايات التي تكمن وراء استشرافنا لحصول تلك الخارقة فوجدناها كلها غايات غير نبيلة ، ولم نجدها يقع موقع رضا الله سبحانه وتعالى ورضا سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولأنني أريد رضا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فإن الله تعالى لم يجني إلى طلبي رحمة منه سبحانه بي ، والله هو العزيز الحكيم ، ولو كان مرادي غير الله ورسوله ، ثم أجرى الله عليَّ من هذا النوع من الخوارق لكان ذلك استدراجاً إلى مصير الشياطين .

فإذا فهمت هذه القواعد الهامة ، فهيا نستخدم المفتاح بالطريقة الصحيحة ، وذلك بعد أن تسأل نفسك الأسئلة التالية :

ما نوع الخارقة التي تريدها ، وما هي الغاية من حصولها ، وهل في المعجزة وغايتها رضا الله ؟ والآن تعال أخضع حالتك على هذه المقاييس الدقيقة :

أولاً: ما هي الخارقة التي تريدها ؟ الخارقة التي تريدها هي تغير الحال الصعبة التي تمر بها ، وتيسير الأمور ، ونوال المراد .

ثانياً: ما هي الغاية المتوخاة ؟ الغاية التي تدفعنا لطلب المعجزة : أداء حقوق الناس ، والقيام بحق الزوجة والأولاد ، النشاط في الكسب وفوق ذلك كله الشعور بالارتياح واللذة في أداء العبادة والذكر .

ثالثاً: هل فيما قصدنا إليه رضا لله سبحانه وتعالى ؟ نعم في ذلك رضا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، فالله يريد بنا اليسر ولا يريد بنا العسر ، ويريد أن يخفف عنا ويرحمنا ، ويحب أداء الحقوق ويرضى عن ذلك .

قلت له : إذا فهمت ذلك كله هيا بنا نستخدم المفتاح الذي هو الثقة بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وسأضع بين يدك مفتاحاً عجيباً وجوهرة نيرة من مجموعتي النادرة لا تجد مثلها في الكون أبداً أبدً ، ومهما أبدلك الآخرون من جواهر غير التي عندي فإنها مزيفة لا تفتح لك إلا أبواب الشرور .

قلت له : لن أطلب منك إلا شيئاً بسيطاً ، وهو أن تؤدي الصلاة المكتوبة ، وبعد الانتهاء منها

تقول : ((استغفر الله)) ثلاث مرات ، ثم تقول : ((سبحان الله)) ثلاثاً وثلاثين مرة ، و ((الحمد لله)) ثلاثاً وثلاثين مرة و ((الله أكبر)) أربعاً وثلاثين ، وسأكشف لك السر في ذلك ، لقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((معقبات لا يخيب قائلهن ثلاث وثلاثون تسبيحة ، وثلاث وثلاثون تحميدة ، وأربع وثلاثون تكبيرة في دبر كل صلاة)) ثم انظر وتأمل في كلمة النبي صلى الله عليه وسلم : ((لا يخيب قائلهن)) ألا تثق بهذه الكلمة فإذا وثقت بها ، وعملت بقول النبي صلى الله عليه وسلم ، حصلت المعجزة ، وأنا أقول لك من الآن مبارك عليك التيسير والفرج لأن ثقتي بكلام النبي صلى الله عليه وسلم كبيرة ، فانتفع من قولي ولا تكن مثل هرقل ملك الروم ضيع سعادته لما ترك الثقة

برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قال له : ((أسلم تسلم)) فلو أسلم ووثق بكلمة ((تسلم)) لما أصابه أي مكروه ، ولكنه تعس فخسر .

تركت هذا الأخ الكريم ، وزرته في اليوم التالي ، فأخبرني أنه صلى العشاء ودعا كما علمته ، ثم قام من نومه على صلاة الفجر نشيطاً فصلى صلاة طيبة وذكر الله بعدها ، ونزل إلى عمله نشيطاً ، وما إن دخل محل عمله حتى رن الهاتف فأخبره المتصل أن المعاملات وقّعت وأن عليك أن تذهب لتأخذ مالك .

فرحت لأخي بهذا الخير وطلبت منه أن يشكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بكثرة الصلاة

عليه ، فولا سنته المطهرة لما حصلنا من الخير شيئاً .

من آثار هذه الحادثة :

زرت أخاً لي في الله ، وكان يعمل تاجراً ، فشكا لي كذب التجار وأكلهم حقوق الناس ، وأنهم يتعبونه كثيراً عند تحصيل المال منهم ، وأنه جرب جميع الوسائل المباحة فلم يحصد نتيجة مرضية ، فنصحته بالحل الأمثل وهو الإيمان بأنه لا محرك ومسكن ولا رافع ولا خافض ولا معطى ولا مانع إلا الله ، فإذا فهمت ذلك عرفت أن جميع الوسائل المباحة التي تعمل بها لتحصيل مالك من الظالمين لا تجدي نفعاً ، إذا لم تطلب من الذي قال لك في سورة آل عمران : ((قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ

الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * تُولِجُ اللَّيْلَ فِي الْنَّهَارِوَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الَمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ)) فسبيلك إلى الخير الدعاء والطلب من الله الواسع العليم ، ولكن سأخبرك عن سر من أسرار الدعاء ، إذا لم تأخذ به لم تجب إلى طلبك أبداً ، فهيئ نفسك لمعرفة ذلك السر ، ذلك السر الخطير هو: أنه صلى الله عليه وسلم ذكر الرجل يطيل السفر. أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمة حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام، وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك ؟ فانتبه إلى مالك من أين وكيف تكسبه ، فإذا كان فيه حرام فلا تطمع أن يجاب طلبك .

ثم قلت له : سأحكي لك قصة رجل يتحرى الحلال في كسبه كيف كشف الله كربته ويسر له ماله ، وحكيت القصة التي ذكرتها سابقاً ، وبعد فترة غير طويلة زرته في بيته ، وسألته عن أخباره ، فحمد الله وأثنى عليه ، وأخبرني بإكرام الله له وإسباغ نعمته عليه وقص لي قصته .

قال : إنني جاهل ولا أعرف أن أتكلم بالدين ، وكان لي شريك يحفظ كثيراً من مواضيع الدين ، وكان يظن أن الكلام بالدين يؤثر على الناس ويجعلهم يعطوننا حقوقنا ، وكنت أرى فكرته صحيحة ولما شرحت لي جزاك الله خيراً اكتشفت الحقيقة وعرفت أن الكلام بالدين لا ينفع إذا الإنسان لم يلجأ إلى الله ويتدخل عليه ، وأنا لما سمعت كلامك شعرت بالصفاء ،

لذلك صليت الفجر وقلت التسبيحات وعملت بنصيحتك التي نصحتها للرجل الذي حكيت لي عنه وتوكلت على الله وسافرت لأحصل مالي فتوفقت وتيسرت أموري تيسيراً عجيباً وغير عادي ، ولا يخطر على بال أحد يعني كأنها مثل المعجزات ، وبعد هذه الحادثة عرف شريكي الحقيقة وخضع للمنطق الذي كلمتني به ، وكان من قبل لا يرتاح إليك ، وهو الآن ينظر إليك بكل حب واحترام .

فرِحتُ له بإنعام الله تعالى عليه وتيسير أموره ، وطالبته بكثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لأنه سبب الرحمة بالمؤمنين الله .

من فوائد تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم والثقة بما يهدي إليه :

خرجت من المشفى بعد إجراء عملية جراحية في موضع من جسدي وذهبت إلى البيت ، وكان الطبيب قد وصف لي دواء مضاداً للالتهابات ودواء آخر مسكناً للألم ودواء آخر يأخذ عند الضرورة ، فكنت إذا تناولت الأدوية ، كان يخفف ذلك عنى نصف الأوجاع ، فكنت أقول : اللهم إيماناً بك وتصديقاً برسولك محمد صلى الله عليه وسلم ، وحاشا لله أن آخذ شيئاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم هو لا يفيد ، ثم آخذ نفسي بهذه الرواية في صحيح الإمام مسلم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ضَعْ يَدَكَ على الَّذِي يألَمُ مِنْ جَسَدِكَ، وَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ ثَلاثاً، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ أعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرّ ما أجِدُ وأُحاذِرُ)) فكنت إذا صنعت ذلك زال الألم عني تماماً ثم

يعود الألم بعد حين فأفعل ذلك ثانية فيزول الألم كذلك .

من آثار قلة الأدب :

كنت في مجلس فدخل إلينا بعض التجار غير الصالحين فكتبت عبارة على ورقة وأعطيتها إلى أحد الموجودين في المجلس فقرأها وطلب مني أن أشرحها للناس ، وقرأها معظم الحاضرين ولم يفهموا شيئاً كتب فيها ، فطلبوا مني توضيح ذلك فقلت لهم : هذه أسرار وأنا لا أعطي هذه

الأسرار إلا لمن يدفع لي ثمنها ، قالوا وكم تريد ثمنها ، قلت لهم مازحاً : مائة ألف ، وعندما سمعوا هذا الكلام ثاروا وانتفضوا وأخرجوا زكاة قلة الأدب التي يمتلكونها وأشبعوا طالب العلم الذي بينهم من صنوف الإهانات ما لا تجده على لسان عاهرة ، قلت لهم : أنا لا أمنع العلم الذي تعلمته ولا أكتمه على أحد ولكن لا أبذله إلا للذين يعرفون قدر العلم ويتأدبون مع أهله ، وإذا كنتم تريدون أن أعلمكم من علوم القرآن فأنا جاهز ، وكان على الطاولة تفسير ابن كثير فتناولته وفتحته وطلبت من صاحبي أن يقرأ بعض الآيات بدأ صاحبي بالقراءة (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) فلما وصل إلى كلمة (من) انتفض الجميع من المجلس انتفاض الذباب واعتذروا عن السماع بالأشغال المرتبة

عليهم في البيع والشراء ، عندها قال لي : الآن فهمت العبارة التي كتبتها لي ، وكانت هذه العبارة : (عندي مال خاص له رائحة إذا شمها بعض الناس شعروا بالقرف منها ، وإذا شمّها الفقراء قتلوا أنفسهم رغبة فيها) .

مغامرة :

كنت أنا وأخ لي في الله ندرس في كل أسبوع بعض أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا لقينا الناس أهدينا من لقيناه حديثاً أو أكثر من هذه الأحاديث التي حفظناها وفهمنا بعض أسرارها ، وشرحنا له بعض يحتاجه من هذه الأحاديث ، وكثيراً ما يضيف لنا الناس فهماً جديداً قيماً عندما يتفاعلون مع الهدي النبوي

أو عندما يطبق أحدهم شيئاً مما فهمه من كلام النبي صلى الله عليه وسلم .

بدأت المغامرة عندما دخلنا إحدى (السوبر ماركت) فوجدنا عند صاحبها امرأة يدل منظرها على أنها من بنات الشيطان ، فكلمنا الرجل وبينا له ألا يتعامل مع النساء إلا ضمن الحاجة الضرورية لذلك ، وخوفناه من خطورة المنزلق ، فأخبرنا الرجل أن هذه المرأة إنما هي راقصة وقد أتت إليه ليبحث لها عمن يغير شخصيتها إلى شخصية إسلامية فما رأيكم أن تكلموها عن الإسلام فإنها تريد أن تتوب وتدخل في الإسلام ، قلنا له : ذلك أمر خطير دعنا نفكر فيه وسنرد عليك الخبر إن شاء الله ، ثم إننا فكرنا في هذا الموضوع كثيراً وأشار علينا

بعض الناس أن نتشجع ونكلمها عسى أن يتوب الله عليها بسببنا ، فقررنا أن نكلمها وضربنا على ذلك موعداً ، فلما حان الوقت جلسنا ساعة نستغفر الله عز وجل ونطلب منه التوبة والرحمة والعصمة من الفتن ونستخيره في ذلك ، ثم ذهبنا وكان شأننا طول الطريق التذلل إلى الله أن تنجح هذه المسألة ، فلما وصلنا إلى المكان الموعود وصلت هي بعدنا وجلسنا في دكان البيع جلست أنا على يمين المرأة لأنني لست بحاجة إلى الجلوس مقابلاً لها ولأن ذلك أدعى لغض البصر لأنني أيضاً اتفقت مع زميلي أن يتولى هو الكلام معها لأن لكلامه رنة وبحة مؤثرة ، وبدأ زميلي بالكلام وأظهرت المخلوقة تفاعلاً قوياً مع الكلام وأخذت بالبكاء وأظهرت ندمها على أيامها السالفة ومحبتها للإسلام وأهله

وأنها تريد حقاً الدخول في الإسلام ، ولكن تريد أن تغير هويتها إلى هوية إسلامية ، قلنا لها : نحن سنسأل محامياً عن ذلك وإن شاء الله يكون ذلك خيراً ، ذهبنا إلى قاض في محكمة الجنايات كنا نزوره بين الحين والآخر ونستفيد خبرته القانونية والاجتماعية ، وحكينا له القصة ، فأخبرنا أن هذه المسالة ليست من اختصاصه ولكن سيسأل لنا زميله المختص بهذه المسائل ، وبعد فترة زرناه ، فأخبرنا أن زميله مسافر ولم يستطع أن يتصل به ، وبعثت المخلوقة تسألنا ماذا حدث ، فاعتذرنا عن التأخير وبعثنا

لها نخبرها أن القاضي مسافر ، وفي تلك الأثناء التقينا برجل صاحب خبرة كثيرة في الحياة ، حكينا له القصة فقال : لا أنصحكم بذلك ،

هذه المرأة تكذب عليكم وتخدعكم ، فهي تريد أن تستغلكم لمصالحها ، ولو كانت صادقة حقاً لتابت والتزمت بشرائع الإسلام وهجرت المعاصي ، وبعد ذلك تبحث عن تغيير هويتها ، وقال : سأحكي لكم قصة حدثت صديق لي ، كان صديقي لم يتزوج بعد وكان يلتزم عند شيخ ، وقد خصص الشيخ لطلابه داراً للضيافة يجلسون بها يأكلون ويشربون ويذكرون الله ، وكان أغلب طلابه من أصحاب المعاصي وقد نشلهم الشيخ إلى طريق الخير وأخذ يتعهدهم على الطاعة برفق ولطف ، وفي ذات يوم جاءت امرأة جميلة إلى الشيخ تريد التوبة فعلمها الشيخ على أحكام الإسلام فتابت والتزمت بالذكر والعبادة حتى كأنها فاقت الشيخ بكثرة العبادة ، وادعت هذه المرأة أنها مقطوعة لأهل لها ، لذلك

لما كانت هذه المرأة أختهم في الله ، كانت تسكن كل فترة عند طالب من طلاب الشيخ المتزوجين ، وهكذا بهذه الطريقة خربت تلك المرأة دين الطلاب وأرجعتهم إلى المعاصي ، وكان صديقي من بينهم ، كانت تأخذه بسيارتها إلى أماكن السياحة واللهو ، وربما نام في بيتها الفخم وكانت تنفق عليه مالاً ، وهكذا كانت تفسد الشباب تأخذ على ذلك مالاً ، فشكرنا الرجل على ما بين لنا من أسرار الحياة ، وبعد فترة زرت الرجل صاحب السوبر ماركت فوجدتها مغلقة ، فسألت عنه فقالوا : إن الراقصة قد خربت بيته .

التأدب مع القدر :

لي أخ في الله متزوج وله أولاد ، بيته ملك له ، حياته منسجمة مع عمله كثيراً فكلما جاءته فرصة عمل استغلها استغلالاً تاماً وما يتحصل له من أجرة العمل يقوم بصرفه على أهله وأولاده متبعاً أسلوب الاقتصاد في المصاريف فكانت حياته مبنية على العفاف والكفاف لا له ولا عليه إلا بعض الديون الصغيرة التي يتمكن من وفائها عند أقرب فرصة للعمل ، وكان يستغل الأوقات التي لا يتيسر له العمل فيها بزيارة الأرحام والأصدقاء وتربية الأولاد وقراءة الكتب النافعة ، كانت حياته هكذا جيدة وسعيدة رغم قلة الموارد وضيق الحال المعيشية ، ولكن للمجتمع والقرابات رأي والأقرباء ربما لا يدركون هذه المعاني ، لذلك راح الأقرباء و بعض المعارف يطلبون منه أن يجد مصدراً آخر للرزق

حتى يحسِّن من وضعه المعيشي وهكذا بسبب ضغط الناس من حوله وانتقاصهم لطريقة حياته أخذ ، يسعى حتى وجد عملاً مباحاً ، ولا يوجد في عصرنا عملاً إلا وفيه بعض الشبهات ، وصاحبنا من شأنه تحري الحلال الخالص في كسبه ، وبعد أشهر من العمل ماذا كانت النتيجة ؟

كانت النتيجة أن محصوله المعاشي لم يزد بل نقص قليلاً عما قبل ، وفوق ذلك كله نقص اهتمامه بدينه قليلاً و زاد تعب جسده و أسفر كثرة الوقت والانشغال في تدبير عمله عن تراجع سريع وخطير في خلق زوجته وأولاده وزاد أذى الناس له حيث اعتبروا الانسحاب من مواطن الأخلاق الردية والشبهات المحرمة جبناً وتهرباً من المسؤولية .

هكذا كانت حاله فنصحته بالصبر على أذى الناس والتأدب مع القدر والرجوع إلى الطور السابق لأنه أكمل وأفضل ، وقرأنا باب العفاف والاقتصاد في المعيشة في كتاب رياض الصالحين للإمام النووي ودرسنا كثير من الفوائد التي استنبطها العلماء من الأحاديث .

حادثة أخرى :

أخبرني أحد الناس أنه يجد ألماً في ظهره يمنعه من العمل وطلب مني أن أدعو له بالشفاء ، فسألته لماذا تريد أن أدعو الله لك ؟ قال : حتى أتمكن من العمل ، قلت : هل تستطيع أن تعمل مشرفاً على عمالك ؟ قال : نعم قلت له: بما أنك تسطيع أن تدير أعمالك وتكسب لعيالك

وأنت بهذه الحالة ، فلماذا تريد الشفاء إذن؟ قال : أنا أستخرج الآن مالاً أقل من السابق بسبب المرض ، قلت له : هذا المرض قدره الله تعالى عليك لأنك تعمل فوق طاقتك ، وهذا المرض يكفر سيئاتك وينبهك إلى أخطائك في الحياة ، فينبغي أن تحمد الله على جميع أقداره ، وينبغي عليك أن تعلم أن لجسدك عليك حقاً فلا تتعبه في تحصيل متاع الدنيا وزينتها .

عشر بيضات :

لي صديق أصيب ابنه بمرض خطير في الدم ولم تستقبل المشفى في مدينة حمص هذه الحالة وإنما حولته إلى مشفى الأطفال في دمشق ، وقال الأطباء : إن حالة الطفل شبه ميؤوس منها ،

ولكن من رحمة الله بصديقي أن التقى مع رجل وحكى له عن أخيه أنه أصيب بمرض أعجز الأطباء ، فأشار بعض الناس إلى أهله أن يذهبوا إلى شيخ صالح يدعو للمريض ، ولما ذهبوا إلى أحد الصالحين قال لهم : تصدقوا بصدقة في مسجد خالد بن الوليد وادعوا الله للمريض بالشفاء ففعلوا ذلك فشفى المريض .

لما سمع صديقي بهذه القصة اتصل بأخيه وطلب منه أن يتصدق في جامع خالد بن الوليد ، وكان أخوه فقيراً معسراً في ذلك الوقت ، ولم يكن معه مال يتصدق به فقام وفتح البراد في بيته فوجد فيه عشر بيضات وبعض الخبز ، فأخذ البيض والخبز وتصدق بها على أحد خدام مسجد خالد بن الوليد ودعا الله هناك ، فرجع الصبي

وأبوه من الشام في تلك الليلة التي حصلت فيها الصدقة ، وقد اختفى المرض من الطفل ولم يبقى له أثر .

مالي من تعبي :

جمعني مجلس مع أحد الأغنياء ، كلمته عن الفقراء وضرورة الصدقة فجعل يذكر لي عدم تقصيره في متابعة الفقراء ، فأخبرته عن بعض آداب الصدقة كإخفائها وعدم التباهي بها وعدم المن على الفقير وعدم فضح حاجته أمام الناس وأن يبدأ أولاً بالتصدق على أرحامه وذوي القربى الفقراء ، فقلت له : إذا كانت أختك فقيرة فابدأ بها ، فقال : فإذا كان زوجها قليل عمل لا يكفي عيلته ، فهل يقول لك الإسلام أن أتصدق عليه ؟ فأخبرته أن الفقير الذي يجب

عليه الصدقة هو الذي لا يستطيع أن يعمل إما لمرض أو لا يوجد له عمل يناسب حاله كالأعمى والأصم والمرأة ، والذي يعمل أجيراً ولا تكفى أجرته مؤونة أهله بالمعروف فهو فقير أيضاً ، أما الذي يملك عيناً ويستفيد منها ولا تكفي فائدتها مؤونته وأهله بالمعروف فهو المسكين ، فلما سمع الغني هذا الكلام صُدم ولكنه لم يتنازل عن رأيه ، والحقيقية أنه لا يدفع صدقة إلا من وراء مصلحة لأن زوج أخته يعمل نصف النهار ويجعل نصفه الآخر لأهله وأولاده وعبادته وما يتحصل له من كسبه لا يكفى مؤونة أهله بالمعروف ، ولكن كثيراً من الأغنياء يتهمون الفقراء بقلة العمل والاتكال على غيرهم فهم يريدون من الفقير أن يعمل بالليل والنهار حتى يكفي أسرته .

نظرة المرأة :

في مجلس ضم مجموعة من الناس ذكر أحدهم شيئاً طريفاً مرَّ عليه في حياته ، وهو أنه كان يقصده الفقراء إلى محل تجارته ليعطيهم ما تجود به نفسه ، ومرة جاءت امرأة وطلبت منه مبلغاً من المال ، ففتح درجه وأخرج ورقة نقدية لا تكاد تفي بشيء من حاجتها فأعطاها إياها ، فما كان من المرأة إلا أن نظرت إلى تلك الورقة النقدية نظرة مقهور ورمتها أمام الرجل وذهبت دون أن تأخذ شيئاً .

تعقيب : هل هذه الأمور من الآداب الحسنة ؟

- أن يذكر الرجل صدقاته أمام بعض الناس وهو لا يقصد حث هؤلاء الناس على الصدقة ، وأن يدعو الناس إلى محله ليعطيهم ، بدل البحث عن الفقراء ومعرفة أحوالهم ويقتصر بالصدقة على الطالب فقط .

- عدم تبين حال المرأة فقد تكون فقيرة وبحاجة شديدة للمال ، وربما تكون المرأة قد انكسر قلبها عندما لم يتعامل معها الرجل بالحق .

الذي في النصيب :

جاء رجل فقير إلى أحد أقاربه الأغنياء قبل العيد بأيام فأخذه الرجل إلى جانب بعيداً عني وطلب من التاجر فأعطاه شيئاً ، ثم ذهب الرجل ، فقال التاجر : هذا فلان من قرابتي كان بحاجة

للمال فأعطيته الذي فيه النصيب ، وبعد مدة عرفت أن هذا الفقير كان يريد أن يشتري لأولاده ثياباً يلبسونها في العيد فجاء إلى قريبه الغني وطلب منه حاجته الضرورية لنفقة العيد فأعطاه ذلك التاجر مبلغاً قليلاً من المال لا يكاد يسد حاجة ولد واحد من أولاده .

تحليل :

- لماذا أظهرذلك الغني لي أنه تصدق على الفقير ولم يظهر لي المبلغ الذي تصدق به ؟

- لماذا لم يطلب الفقير حاجته أمامي ؟

من الكافي ؟ :

بعد أن أنهيت الصلاة يوم الجمعة جلس رجل شيخ عن يميني ، وقال: أنت خطيب الجامع وتعرف الناس ، وأنا تقاعدت من العمل ولم يُدفع لي المعاش بعد ، وأنا أستحي أن أطلب من الناس فهل تستطيع أن تدبر لي مصروفاً لعيالي ، أحزنني كلامه لأنني لم أكن أملك مالاً وقتها ، فقلت له : وأنا استحي أن أطلب من الناس ، قال لي : ماذا أفعل وصار يبكي ، قلت له : اتجه للقبلة واطلب من مالك السموات والأرض خرجت من المسجد ، فلما أردت أن أركب دراجتي جاء رجل وألقى علي السلام وصافحني واضعاً مبلغاً من المال في يدي ، وقال : هذا للفقراء ، فرجعت إلى المسجد فوجدت الرجل فأعطيته المال ، وقلت له : هذا المال لأنك طلبت من مالك الملك .

الأعمى وبائع المشمش :

في الصغر كنت سائراً في الطريق فلفت انتباهي رجل عجوز يريد أن يقطع الطريق ولا يستطيع ، فجئت إليه فوجدته أعمى فأوصلته إلى الطريق المقابل ، فسمع الرجل صوت بائع المشمش فذهب إليه وأخرج العجوز من جيبه قطعتان من النقود لا تكفيان لشراء أوقية مشمش ، ثم دفعها إلى البائع فأبى أن يبيعه إلا (كليو) فما فوق ، فدمعت عين الرجل الأعمى ثم ذهب ، رجعت أنا إلى البيت ، وفي اليوم التالي ذكر رفيقي في المدرسة أنه مر بالسوق يوم أمس ، وأخذا يتأسف على بائع المشمش ، وقال : لقد مررت أنا وأمي بالسوق يوم أمس وكان بائع

المشمش يقول : إنه لم يبع شيئاً منذ الصباح ، فأخبرته لماذا عوقب الرجل في الرزق .

الأخ بالآخر :

كانا صديقين وبينهما مصالح مادية ، وكانا يتعاملان على أنهما أخوة فلا يكتم أحدهما عن الآخر شيئاً من أحواله ، كانا ميسوري الحال ، لكن أحدهما كان كثير البذل للآخر ، كنت ألاحظ عدم التكافؤ في التباذل بينهما لكنني لا أتكلم في ذلك ، لما يظهِران أمامي من المودة والأخوة ، لأنني إذا تكلمت رجعت اللائمة عليّ ، واعتبرت متدخلاّ فيما لا يعنيني ، ومرت الأيام فاستكثر أحدهما الدَّين من الآخر الذي هو كثير البذل لصاحبه وللناس ، فكانت نتيجة ذلك أن استهلك أحدهما مال الآخر ، ثم إنه مرت

بالرجل الكريم ظروف فاحتاج مالاً ، فقلت له : ألا تطلب ديونك من فلان ، فقال لي : لا أريد أن أشق على أخي ، وسأصبر فإن لي رب كريم ، فقلت في نفسي : لعلي أذهب وأذكر حاجة الرجل أمام صاحبه عسى أن يعطيه بعض المال الذي بذمته وذهبت إليه أشرت إليه أن يهتم بحال صاحبه ويسأل عن أحواله لعله يكون محتاجاً ، فقال لي مازحاً : أخي فلان ليس سهلاً فهو يدخر المال تحت البلاط ..!! ثم جاءه مال فقسمه على مستحقيه ونسي صديقه صاحب الفضل الكبير عليه ، قلت له : لمْ أرك قسمت من المال شيئاً لصاحبك فلان ؟ فقال : أنا والرجل مثل الأخوة فهو يصبر عليّ إذا لم أعطه شيئاً ثم إن هناك أناساً أبدى منه ، قلت له : هكذا تجعل أخاك آخراً ، وحزنت وتألمت

من ذلك وأخفيت في نفسي شيئاً لم أبده له وهو أنه يأكل ويشرب ويستصنع من ثمرات مال أخيه ثم إنه يجعل صاحب الفضل آخر الناس ولا يكلف نفسه أن يقول لأخيه : إنه جاءني مال لعلك تأخذ منه ، أو إيذن لي بأن أصرف المال لغيرك .

نور المصافحة :

كان رجلاً قاسي القلب جامد العين ، وكان كثير الإيذاء لي ، كنت أمرّ على أولاده في الأسبوع مرة أو مرتين لأشرح لهم آية من القرآن الكريم ، فكان يرى تلك الساعة التي أقضيها مع أولاده مضيعة للوقت وإلهاءً لهم عن العمل ، فكان يحول بيني وبينهم وربما طردني من المحل

مازحاً ، وفي أحد الأيام لقيني بوجه كالح فلم يسلم عليّ لكنني سلمت عليه وتبسمت في وجهه فلم يرق لي وجهه ، ثم خرج من المحل لقضاء حاجة ، وقال : إنه يأمل أن يرجع ولا يرى أحداً ثم انه دخل رجل صاحب مصلحة مادية مع المحل ،وكان الزبون يعرفني فجاء فسلم عليّ ، ثم رجع الرجل فرأى الزبون يتكلم معي فاضطر أن يسلم عليّ ويصافحني أمام الزبون ، وعندما وضع يده في يدي أضاء في وجهه نور عجيب ، وكأن الرجل قد أصبح من أهل القرآن ، فعرفت شيئاً من معاني قوله صلى الله عليه وسلم ((أفشوا السلام بينكم)) .

ولذكر الله أكبر :

كنت أعمل في مكتبة قرب الجامعة ، وكان الطلاب يخرجون من المحاضرات عند أذان الظهر ، وكانوا يهجمون إلى المحل فأبيعهم وأنسخ لهم الملخصات .. هكذا حتى يضيق الوقت ولا أستطيع صلاة الظهر على وقتها وقد كنت إماماً موظفاً في المسجد ، وكان الشيطان يزين عملي هذا ويعطيني المبررات ، وكان الناس من أهل المسجد الذي أصلي فيه يرحمونني ويتساهلون معي في ترك هذه الصلاة ويقولون : لا بأس خلوه يكسب رزقه ، وذات مرة أدركتني عناية الله رب العالمين ، فصرت أقفل المحل قبل خروج الطلاب وأذهب للصلاة ، وهكذا كنت أربح مالاً أكثر ببيع أقل ، وأصبحت مرتاحاً واعمل بهدوء ، وقد كنت فيما مضى أخطئ بالحساب من كثرة الناس وربما قام بعض الطلاب أثناء

الازدحام بسرقة بعض الأشياء من المكتبة فيذهب بربح اليوم .

ومرة كنت في المكتبة أعمل بهدوء وأنا أدمدم وأقول : ((يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث)) وإذا دخل على عامل الضرائب وقال لي : لماذا لا تضع التسعيرة على البضاعة ، فقلت سأضعها إن شاء الله ، فتركني وغادر دون يعاقبني أو يطلب مكساً .

ثم إن الجيران لما رأوا جابي الضرائب أغلقوا محلاتهم وهربوا ، فكنت ذلك اليوم أكثر الناس مورداً ببركة الذكر الذي كنت أذكره ((يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث)) وهذه الصيغة هي من أذكار النبي صلى الله عليه وسلم .

حادثة أخرى :

بعد تأدية الامتحان في الجامعة ، تجمعنا وكنا عشر طلاب من حمص وذهبنا سوية إلى مرآب السيارات للسفر ، وصلنا إلى الكراج قبل أذان المغرب بربع ساعة ، وكان هناك ازدحام شديد على سيارات العودة إلى حمص ، لأن الوقت هو آخر الأسبوع وأكثر الناس تعودون في ذلك اليوم إلى أهليهم ، فقلت لهم تعالوا ننتظر حتى يؤذن ونصلي المغرب والعشاء جمعاً ويهيئ الله تعالى لنا بعدها ركوباً مناسباً ، فافترقنا فريقين : فريق قالوا : نصلى المغرب عند أول استراحة يقف فيها الباص ، وبقينا أربع أشخاص ذهبنا إلى المسجد وتوضأنا من جديد وصلينا على مهل ثم خرجنا

من المسجد فاستقبلنا رجل وقال : إلى أين تريدون الذهاب ، قلنا له : إلى حمص ، قال لنا : إذن آخذكم معي ، قلنا له كم تريد أجرة ، قال : الذي تجود به أنفسكم ، أنا من اللاذقية قضيت مهمتي هنا في دمشق وأريد العودة إلى بلدي ، وهكذا وصلنا إلى بيوتنا قبل رفاقنا وبسيارة مريحة وسريعة ، أما رفاقنا فلم يدركوا صلاة المغرب فصلوها جمع تأخير مع العشاء في الاستراحة ، ولم يستطيع العثور على مركب هني ، فلقد قدر لهم الرجوع على مقاعد غير مريحة .

من آثار التعاون على البر والتقوى :

مررت برجل فسلمت عليه فرد السلام بحرارة ورحب بي ، فلما صافحته أحسست بحرارة قوية في القلب مع برودة حول القلب في الحشا ، وجلست قربه وشعرت بما أشعر به إذا جلست مع الذين أظنهم من الصالحين فتكلمت إليه فجرى على لساني موضوعاً متكاملاً مع جميع الأدلة اللازمة لهذا الموضوع ما لو جعل كتاباً لما احتاج إلى إضافة ، وهكذا شعرت أن الله قد فتح عليَّ في الحديث ، فقلت : إن في الأمر لسراً ، فسألت الرجل ماذا كان يعمل خلال اليوم والأمس ، فأخبرني أن أحد الناس أهداه كتابا يحتوى بعض الأدعية التي كان يدعو بها النبي صلى الله عليه وسلم ، فجلس هو وزوجته ، وصارت زوجته تقرأ له الأدعية وهو يؤمن على دعائها ، لأن هذا الرجل أمي لا يعرف القراءة ،

فلعل الله تعالى قد قبل منهما هذه الأدعية ونور لهما قلوبهما وأظهر لي الله تعالى فيهما من أثار التعاون على البر والتقوى وما أحسسته في فؤادي .

الاعتذار عن تعلم القرآن :

لقيني رجل وبعد السلام تحدثنا عن حال الناس المؤسف فنصحته أن يبحث عن مجتمع القرآن وأهله فطلب مني أن أخصص له وقتاً لقراءة القرآن الكريم ، فأخرجت مصحفاً وقلت له : الآن عندي فراغ ، هيا نتعلم ، فاعتذر مني وقال : تركت المحل مفتوحاً وعندي أشغال كثيرة ، وأداء حقوق الناس أهم .

دعاء الخروج من البيت :

لبست حجابها الكامل الذي يسبغ جميعها فلا يبين منها شيء مثل الغراب ، وخرجت تريد بيت أهلها ، كان الوقت قبل العشاء ، وفي الطريق لحقها رجل وصار يتحرش بها ويسمعها كلاماًً قبيحاً يريد به الفاحشة ، فخافت وأسرعت الخطا وهي تتلفت يميناً وشمالاً لعلها تجد من تستنجد به ، وظلت وهكذا حتى رأت محلاً تجارياً فدخلت واستنجدت بهم فأنجدوها ، روى لي قريبها هذه الحادثة وكان من طلاب العلم ، فسألته هل علّمها دعاء الخروج من البيت ، قال : نعم ، ثم إنه تبين بعدها أن المرأة قد نسيت أن تدعوا به ذلك اليوم .

فائدة :

روى النسائي والترمذي وأبو داود عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من قال- يعني إذا خرج من البيت- بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله يقال له كفيت ووقيت وهديت وتنحى عنه الشيطان)) وعن أم سلمة رضي الله عنها : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج من بيته قال : ((بسم الله ، رب أعوذ بك من أن أزِلَّ أو أُزَلَّ أو أضِلَّ أو أُضَلَّ أو أظْلِمَ أو أُظلَم، أو أجهَل أو يُجهلَ عليَّ)) .

المرأة والذهب :

لي صاحب في الله استدان منه أحد الناس مبلغاً من المال واشترى به ذهباً لزوجته ، وفي يوم من

الأيام جاءت زوجة صاحبي من عرس إحدى قريباتها ، غاضبة وقالت : إن زوجة فلان صاحبك أخذت تفتخر أمامي بالذهب الذي ثمنه منك ، لقد حرمت نفسي لبس الذهب حتى تأتي واحدة غيري وتلبس ذهباً من مال زوجي ثم تغيظني به هكذا بكل وقاحة ولا تستحي من نفسها .

تعقيب :

قال تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْأِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)) الحجرات: ١١

روى النسائي عن أخت حذيفة رضي الله تبارك وتعالى عنه قالت : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ((يا معشر النساء أما لكن في الفضة ما تحلين، أما إنه ليس من امرأة تحلت ذهبا تظهره إلا عذبت به)) .

المختلعات هن المنافقات :

خطب شاب فتاة وعقد عليها عقد الزواج ولم يتحدد وقت الدخول بها ، وبعد فترة أعجب والدا العروس بأحد أقربائها وكان غنياً وسيماً وكان يرغب أن لو كانت البنت خلية من الزوج لتزوجها ، فاصطنع أهل البنت مع زوجها بعض الخلافات وطلبوا منه بعض المطالب الصعبة حتى

توصلوا إلى طلب المخالعة ، فأجابهم الشاب إلى ذلك حتى يتخلص مما لحقه من الضرر وهكذا يفهم قول النبي صلى الله عليه وسلم : ((إن المختلعات والمنتزعات هن المنافقات)) رواه أحمد والنسائي والترمذي والطبراني بسند حسن .

لأنه مع قلة الدين ربما بحثت المرأة وهي في عصمة زوجها عن رجل آخر أغنى وأجمل من زوجها ثم تتفق معه على الزواج وتتخذ الطلاق بالمخالعة لعبة لتحقيق شهواتها.

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : ((أيما امرأةٍ سألت زوجها طلاقاً في غير ما بأسٍ فحرامٌ عليها رائحة الجنة)) رواه أبو داود

فائدة :

الخلع جائز ولكن ينبغي أن يكون عند تعذر الحياة الزوجية فيكون الطلاق حلاً لذلك وسبباً لتقوى الله عز وجل ، قال الله تعالى : ((الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللّهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)) البقرة

روي البخاري في صحيحه ، عن ابن عباس : أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، ثابت بن قيس، ما أعتب عليه في خلق ولا دين، ولكني أكره الكفر في الإسلام ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه

وسلم : ((أتردين عليه حديقته)) قالت : نعم ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت ابن قيس : ((اقبل الحديقة وطلقها تطليقة)) .